

الفلّوْفُ الرّوّاني
مِنْ شَرَحِ
لُبِّ الرَّاهِمِ الرّوّاني

مكتبة اليمن الإلكترونية

جَمْعٌ وَتَقْدِيمُ
أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّامِيِّ

مكتبة اليمن الإلكترونية

عبدالله بن يوسف النبهاني

الفتوف الزواني
مؤلف
أبراهيم الخضيراني

مكتبة اليمن الإلكترونية

الْقُطُوفُ وَالِدَرَانِي

مِنْ

إِبْرَاهِيمَ الْحَضْرَانِي

مكتبة اليمن الإلكترونية

جَمْعٌ وَقَدْ

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّامِيُّ

منشورات العصر الحديث

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مكتبة اليمن الإلكترونية

منشورات العصر الحديث

توزيع



دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

هاتف : ٨١٤٧١٦ - ٨١٤٦٩٧ • ص.ب : ١٤/٥٦٤٥

DAR AL-MANAHIL • TEL: 814716 - 814697 • P.O.Box: 14/5645 •

BEIRUT - LEBANON •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إنها رحلة ممتعة، ولم تكن قصيرة، تلك التي رحلتها مع شعر صديق العمر الشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضرائي، منذ قرأت له أول قصيدة نشرتها مجلة «الحكمة اليمنية» سنة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م وحتى عامنا هذا: ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م؛ إنها رحلة نصف قرن رهيب.

خمسون عاماً هلكت خلالها أُمَمٌ، ونشأت أُمَمٌ، وانهزمت دولٌ وانتصرت دول، واجتاحت العالم في أثنائها أحداث جسام كالحرب العالمية الثانية التي شملت أرزاؤها وكوارثها أوروبا، وآسيا، وإفريقية، وأكثر اصقاع المعمورة، ثم ما تحكّم بعدها من عزّة القوة المنتصرة، وذلة الضعف المنهزم، وما نجم من اضطرابات وانقلابات وصراع من أجل الاستقلال والتحرّر في الهند والسند والحبشة والمغرب، والجزائر، وسائر الشرفين الأقصى والأدنى، وكارثة فلسطين، وما حدث في اليمن على وجه الخصوص من مجاعات وأمراض وقحط وصراع وثورات، وما كان بعد ذلك، ومن جرّائه من مأسٍ تحدّثت عنها كثيراً شعراً ونثراً، كما ذكرها وتحدّث عنها غيري شعراً ونثراً. وقد كان الشاعر إبراهيم الحضرائي خلال تلك الأحداث في خضمّها بل - ومعني - في دوامتها.

ولعل القراء - ولا سيما اليمنيين - سيجدون لي عذراً إذا ادّعت أن جهدي في جمع هذه «القطوف» الشعرية لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، وأن تربيها وإخراجها في «ديوان» قد أتعبني وأضناني، وليس لأن أشعار صديق العمر مشتة، وأن

ابراهيم نفسه لم يتعمّد حفظ قصائده ومقطوعاته ومفرداته في الدفاتر، وليس لأنها كثيرة وفي كل واحد منها عصاً؛ بل لكل ذلك ولأنّ الكثير من أوراقه و«سفائني»، وثمرات قراءتي، قد تعرّضت للتلف عدّة مرّات منذ ثورة الدستور في صنعاء عام ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م ومروراً بانقلاب ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥ م فثورة الجمهورية عام ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م والحرب الأهلية، والاغتراب والتنقل ما بين القاهرة ولندن وروما وباريس وبيروت حتى كان ما كان - ولطف الله - سنة ١٩٧٥ م وتم انتقالي إلى «بروملي» في بريطانيا حيث لا أزال حتى عامنا هذا ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.

فهني كما قلت رحلة شعرية مع شاعر صديق استمرت خمسين عاماً؛ ولا أظن ابراهيم الحضرائي قد قال في أثنائها شعراً ولم يقرأه عليّ، أو لم أعلمه من أحبابه وأصدقائه. ولكن هناك ما لم أتمكن من الاحتفاظ به، والتهمة الضياع، للأسباب التي أشرت إليها؛ فهل سيعذرني القراء إذا وجدوا هذه المجموعة لا تضم بعض ما يعرفونه أو سمعوا به من شعر ابراهيم الحضرائي؟

لقد أردت خدمةً للأدب اليمني أن أجمع ديوان ابراهيم الحضرائي وأخرجه للناس، وعند الإقدام - وبعد مراجعة مع صاحبه - وجدت أن أشعاراً كثيرة ليست في حوزتي بل ولا في حوزة ابراهيم نفسه، إلا ما يتذكره من مطالع أو نتفج كانت قصائد طويلة، ووجدتني، وأنا أجمع هذه «القطوف» في حديقة أشبه بغابة وحشية، فيها أشجار الفواكه المثمرة مبلوثة تنفياً ظلّال أشجار الطلح والخابور، والزهور الفوّاحة للورد والفل والياسمين منشورة بين الأدواح الباسقة، ولذلك لم أهتم إلّا بجمعها دون تنضيد أو تنسيق؛ فلم أرّبتها تاريخياً، ولا موضوعياً، ولا حسب القوافي، بل عمدت إلى ما أجده من شعره في ورقة بالية عتيقة بخط ابراهيم نفسه، أو كتبتّه في دفاتري التي لم تضع قبل أربعين أو ثلاثين عاماً، أو استطعت الاحتفاظ به في الذاكرة، أو في كتب من تحدّث عن الشاعر من الكتاب والنقاد، وقرّرت إخراجه للناس في ديوان، ولا شك أن ثمة أشعاراً كثيرة في الرثاء والمديح والنسيب وسائر الأبواب الشعرية لا تزال في زوايا النسيان، وأنها

قد تكوّن في يومٍ ما الجزء الثاني من ديوان «القطوف الدواني»، لابراهيم الحضرائي.

ومن هو الشاعر ابراهيم الحضرائي؟

تلك هي قصّتي مع هذه «القطوف»، أما شاعرها فقد تحدّثت عنه في جلّ مؤلفاتي ومحاضراتي الأدبية ، وترجمت له في كتابي «شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» والذي نشرت جريدة «الشرق الأوسط» القسم الأول منه فيمن اسمه «إبراهيم»، وبينهم «شاعر القطوف».

ولعله يجدر بي أن أقتطف في هذه المقدمة ما سبق أن قلته أو كتبتة عنه، وأضيف ما قاله عنه بعض الأدباء الذين تحدّثوا عن الشعر والشعراء في اليمن.

مكتبة اليمن الإلكترونية

توثيق /

فايز محيي الدين البخاري

عبد يوسف المديني

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَضْرَانِي

(١٣٣٩هـ / ١٩٢١م)

الشاعر الألمي ، ابن الشاعر الراوية ، ابن الشاعر العالم ؛ الأديب الظريف الأرمي اللطيف إبراهيم بن أحمد بن محمد الحضرائي ؛ ولد سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١ م ، ونشأ في بيت جهاد وأدب وكّد واجتهاد ، وتنقل في طفولته ما بين أنس وذمار والبيضاء مع والده العالم الشاعر الفارس الراوية القاضي أحمد بن محمد الحضرائي الآتي ذكره إن شاء الله .

وابراهيم في طليعة الطبقة الأولى من شعراء اليمن - لا أقول - في القرن الرابع عشر الهجري بل عبر العصور في الجاهلية والإسلام .

عرفته - أول ما عرفته شخصياً - بتعز سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٣ م فعرفت الظرف يتحدث ، واللطف يُغني ؛ إلى ذكاء والمعية ، وتصوف ورقة ؛ فأخلصت له ودّي ، وامتزجنا امتزاجاً شعرياً وأديباً مخلصاً للفن ، والكلمة ، والحق والجمال ، في شتى صوره وأشكاله ، وقد تحدثت عن ذلك في أماكن أخرى من كتبي ، وبما قلته وأنا أترجم لبعض شعراء اليمن منذ سنوات وأحاول أن أصورهم في ديباجات فنية ، قلت عن إبراهيم الحضرائي : « غمامة الفجر التي .. تقطر الندى .. على زهور الحب .. ارتعشت ذات صباح في سماء حمير وسكبت من روحها رشفة نور ؛ في قلب مخلوق لطيف ، سموه «إبراهيم» ؛ الشاعر «الخليل» ، الساحر الفنان ، الملهم الموهوب ؛ كم غسلت آلامه الدموع ، وكفكت دموعه الأحلام ! كم هام طائراً .. مغرداً لنفسه ، يشدو لحبه ، يرتل القصيد ، وسار في مناكب الوجود .. واحتسى العبر ، وخبر البشر ، فكان أشجى من شعر ، وأطرب الأسماع ، ورقص القلوب ، النار من عناصر وجدانه وهو وجدان النور ، والجّد والمزاح ، والشروء والصالح ، والحرام والمباح ، وخير ما يُرجى ، وشر ما يُخشى ، تقطرت في نغمات

«ذي القروح» و«الأعشى» و«الحكمي» و«المهبل» . . رحيق نشوة مزجها الشعر
بمذاب الحب والحياة هدية الجبال للشاعر الملهم ابراهيم بن أحمد الحضرائي .
«أبدع من نسق لغة الجبال في نغم البيان ؛ لا زال في منادحه ، يلهو سعيداً
مشرق الضمير» .

هذا هو ابراهيم الحضرائي والذي لا أستطيع اليوم - وبعد عشرين سنة الطويلة في
تعز وصنعاء والحديدة وقاهرة «حجة» بل وسجن «نافع» وبعد أربعين عاماً منذ
أول لقاء - أن أقول أكثر أو أبداع منه عن شعره وأدبه وخفة روحه ، وسلامة
طويته ، ومنادح أفكاره وأشجانه .

إنه دنيا قائمة بذاتها قاراتها الظرف والحب والجبال والمجون . أما أول شعر
قرأته له فهو تلك القصيدة البائية التي وجهها إلى رئيس تحرير مجلة «الحكمة
اليمانية» السيد العالم المصلح الكبير أحمد عبد الوهاب الوريث ونشرها في عدد رقم
١٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ (يناير ١٩٤١ م) وهو في حوالى العشرين وكنت في
السادسة عشرة ومطلعها :

أيها القائم بالأمر . . الذي يُرضي الكتابا
دُمّ لليل الجهل في الأمة بدرأ لن يُغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا
سوف تحني من ثمار المجد ما لذ . . وطابا
وتُربي من عقول القوم ما أضحى يبابا

[إلى آخرها - وانظر الديوان] .

وأذكر أني حين قرأت هذه القصيدة . . وكنت كما قلت في السادسة عشرة من
سني العمر قد اعجبت بالشاعر الشاب - كما وصفته المجلة - ابراهيم الحضرائي
وطربت للبيتين الأخيرين «زاحوا الدعموص» و«تراهم من خيوط الشمس»
ووقفت عند كلمة «الدعموص» إذ لم أكن أدري معناها ورجعت إلى القاموس فإذا
به يقول : «الدعموص دودة سوداء تكون في الغدران إذا نثت» وتساءلت هل كان

هناك دويبة مائية أو بحرية تكون أكثر موامعة وأليق بمزاحمة الإنسان غير هذه الدودة التي تكون في الغدران الرَّاكدة؟ وكان ذلك أول خاطرة نقد أذكركها. وهي تدل على أن وراءها من سيشغل الناس بخواطره.

ولعل قلم رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» والمخاطب بالقصيدة وقد كان أديباً وعالمًا وشاعراً، وموجهاً، وقائداً لآمال شباب اليمن يومذاك، قد تصرف في بعض ألفاظ القصيدة وأبياتها حذفاً وترمياً وقد أثبتتها كاملة وكما وردت في المجلة ولم أحذف منها شيئاً لأنها تمثل بوضوح وصراحة طموحات وأفكار وثقافة ومبادئ إبراهيم الحضرائي الشاعر الشاب؛ بل والمثل العليا التي كان يتطلع إليها ويؤمن بها ويريد تحقيقها جميع شعراء وأدباء ومثقفي أبناء جيله في «ذمار» و«صنعاء» و«تعز»، و«الحديدة» وغيرها من مدن اليمن حينذاك (١٣٥٨ هـ / ١٩٤١ م).

«السعي والاخلاص»، «ثمار المجد»، «اتباع الحق».

قل؛ ولا تخش فما فا ز امرؤ داري وحابا

«منفعة الشعب» و«تحمل الصعاب في سبيل المجد» إلى غير ذلك، ولقد حدثني إبراهيم عن مبلغ ومدى غبطته وسروره ونشوته الكبرى حين حمل بريد «صنعاء» المجلة إلى «ذمار» ورأى اسمه فيها مكتوباً لأول مرة يقرأه الناس، ويعرفون أنه شاعر يدري ما هو «الدعموص»؛ وكيف أحس بالتباهي والفخر رغم ما كان يعانيه من كَبَد الحياة وشظفها، ومتاعب العيش وقسوته.

ومن هو يا ترى هذا الدهر الذي ذابت من تجنيه وعناده قلوب الأحرار؟ و«خاس وعاب»، و«صير الحرَّ عبداً» و«الرأس ذناباً»؟ ومن هم أولئك الذين ليس في قلوبهم غيرة على الدين من شباب المسلمين والذين أنبهم بقوله:

خاس من لم يخدم الأمة والدين وخابا؟

ومن هو صاحبُ المجد والمال والخييل والركاب الذي جعلها كل مجده، والذي يقسم بربّ العرش ومن سير في الأفق السحابا أنها سوف تتلاشى عنه، وتصبح سراباً، وليس ذلك فحسب.. بل ويرى بعدها «العجب العجبا»!

ويتمنى عندها «لو أنه كان تراباً»! ماذا كان يجول في خيال إبراهيم الشاعر الشاب؟ وهل كان يستشف ما وراء الغيب؟ وأحوالا ستحول!

إن كل تلك المثل والمطامح كانت تفيض بها مشاعر جيل إبراهيم ولقد مثلها إبراهيم وأترابه المثقفون، وانفعلوا بها قولاً وسلوكاً حتى وجدوا أنفسهم مُصَفِّدين في الأغلال في سجون حجة، وصنعاء وتعز وإب والحديدة سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ومنهم من قضى نحبه ومنهم من عاش وتطوّرت به تقلبات الدهر الخثّون، ومنهم من ينتظر وما يدّلوّ تبديلاً.

ولا شك أن إبراهيم الحضرائي قد تأثر بشعر وأفكار شعراء العراق والشام ومصر في ذلك الزمان، وبصورة خاصة وفي هذه القصيدة بالذات بقصيدة أحمد شوقي التي خاطب بها «عمال مصر» قبل أن يُنشئ إبراهيم قصيدته ببضعة عشر عاماً ومطلعها:

أيها العمال أفنوا الـ عُمر كدّاً واكتساباً

ترى هل لا يزال إبراهيم وبعض أترابه الذين لا يزالون على قيد الحياة يؤمنون بتلك المثالية الصادقة السامية؟ في مثل قوله:

إنّما الماجد من لم يأل للمجد طلاباً

ويرى ما خالف الحق وإن جلّ سراها

فهو لا يخشى إذا ما قال بالحق عقاباً!

وقوله:

فاز من شبّ على ما ينفع الشعب وشاباً

وقوله:

خاس من لم يخدم الأمة والدين وخاباً

وقوله:

قل؛ ولا تحشّ فيما فا ز امرؤ داري وحاباً

أبعد الله امرءاً عن منهج الحق تغابى

أم إنه لو قدّر له أو لأحد من شعراء جيله أن يخاطب اليمينين اليوم وبعد أربعين عاماً واليمن تمرّ بمرحلة أشبه بالفترة التي كانت تحتازها مصر منذ ستين عاماً لفضّل أن يقول لهم ما قاله شوقي للعمال:

أيها الجمع؛ لقد صرت من المجلس قاباً
فكن الحرّ اختياراً وكن الحرّ انتخاباً
إن للقوم لَعَيْناً ليس تألوك ارتقاباً
فتوقع أن يقولوا من عن «العمال» ناباً
ليس بالأمر جديراً كل من ألقى خطاباً
أو سخا بالمال، أو قدّم جاها وانتساباً
أو رأى أميّة، فاختلب الجهل اختلاباً
فتخير كلّ من شبّ على «الصدق» وشاباً
إلى أن يقول:

اطلبوا الحقّ برفق واجعلوا الواجب داباً
واستقيموا؛ يفتح الله لكم باباً.. فباباً
اهجروا الخمر تطيعوا الله، أو ترضوا الكتاباً
إنها رجس فطوي لامرئ كف، وتاباً
ترعش الأيدي؛ ومن يرعش من الصنّاع خاباً

إلى آخرها؟ يا ليت شعري! ولعلّ.. وربما.. ولكن مما لا شك فيه أن قصيدة ابراهيم وقبل أربعين عاماً كانت تصوره مع جيله المتعطش للمجد وفي إطار المثل العليا لذلك الزمان أصدق تمثيل.

ولي مع ابراهيم من الذكريات وبينني وبينه من المراسلات الشعرية والأدبية ما لو جمع لكان سفرأ كبيراً ولقد كنت وإياه عمودي «البريد الأدبي» في الفترة ما بين ١٩٤٦ و١٩٤٨ م (١٣٦٥ - ١٣٦٧ هـ). وساهم في تحرير مجلة السلوة الخطية ومجلة «الندوة الأدبية» التي كنت أُرّس تحريرها في معتقل القاهرة حجة ما بين فترة ١٩٥٢ - ١٩٥٤ م (١٣٧١ - ١٣٧٣ هـ) وبعد خروجه من المعتقل شغل عدة مناصب في «حيس» و«الحديدة» و«صنعاء» وبعد ثورة سنة ١٩٦٢ م (١٣٨٢ هـ)

عمل نائباً لوزارة الإعلام؛ ثم عمل في السلك الدبلوماسي بالقاهرة وبغداد والكويت ومثل اليمن وأدبائها في معظم المؤتمرات الشعرية والفنية والأدبية والثقافية في البلدان العربية فخلب الألباب بأشعاره، وكسب محبة و إعجاب كل من سمعه يحاضر أو يتحدث، وكان زميلاً وصديقاً ومسامراً وندياً لأمثال علي باكثير وأحمد رامي ومحمود حسن اسماعيل وصالح جودت وكبار أدباء وشعراء العرب في القاهرة وبغداد ودمشق وتونس والجزائر والرياض والخليج العربي وسمعت - والعهد على الراوي - أن الأستاذ محمود محمد شاكر لما جلس معه ابراهيم الحضرائي قال عنه «إنه إمام أدب وحفظ» والأستاذ شاكر هو من هو علماً وأدباً وحفظاً؛ ولو أنه قد عرف أبا إبراهيم القاضي أحمد بن محمد الحضرائي الذي لا مثيل له ولا نظير في عصرنا لعرف أنه «إمام صغير» ابن «إمام كبير».

وأشعاره كثيرة جداً تقع في مجلدات، وللأسف إنه غير مهتم بجمعها، وكثير من أصدقائه والمحبين للفن والأدب الرفيع يناشدون «مركز الدراسات» اليمنية ووزارة الإعلام والثقافة في اليمن المبادرة بالبحث عن ذلك الكنز الثمين والعناية به قبل أن يلتهمه الضياع. وقد ضاع منه الكثير مع الأسف الشديد ولابته إبراهيم في «الشعر الحميني» قصائد ومقطوعات رائعة، وهو ملم بلغات ولهجات القبائل اليمنية، أخذ ذلك بالتنقل والممارسة وعن والده القاضي أحمد بن محمد الحضرائي. وأخوه محمد من أعلام الشعر الحميني في اليمن وله ترجمة في المعجم؛ ومن بدائع ابراهيم القصيدة التي القاها أمام الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وكان لا يزال ولياً للعهد وأميراً على لواء «تعز» مهنثاً له بعيد الأضحى سنة ١٣٦٣ هـ (نوفمبر سنة ١٩٤٤ م) ولهذه القصيدة أسباب ودوافع كوّنت بالجو الشعري الذي كان يعيشه ويحيا فيه الشاعر حين نظمها، والتي ستزيد القراء معرفة بها وبصاحبها إذا ما شرحتها؛ ولا سيما ولي علاقة متينة بها وبخلق أجوائها إذ قد كنت مع ابراهيم والزميل محمد الفسيل نكوّن ثلوثاً أدبياً لفت الأنظار في «تعز» وكانت لنا أفكار ونظرات أدبية يعدها البعض جديدة على المجتمع حينذاك، وكنا نجهر بالدعوة إلى التجديد في الشعر أوزاناً وقوافي ومواضيع، بل وفي التدريس ومناهج التعليم،

ونقرأ الرافعي ، وطه حسين ، وجبران ، وعلي محمود ، وأحمد رامي ، والشابي ، ومحمد عبده ، وقصة الفلسفة القديمة والحديثة ! وتحدثنا يوماً في إحدى مجالس القات عن « غاية السؤل في علم الأصول » و« ديوان المتنبي » وعن مسألة ما فوق الفوق ، والأجرام السماوية ، وعالم الفضاء اللانهائي ، وعن الجنة والنار وهل قد خُلِقا؟ وأين هما؟ وفي أيّ مكان؟ والجنة وحدها عرضها عرض السماوات والأرض ! وعن الجهر والصراخ بالأدعية والصلوات على الرسول (ﷺ) وأن خفض الأصوات أفضل وأقرب إلى الخشوع ونحو ذلك ! ولعلّ بعض الحاضرين قد ساء فهمه لتلك الأحاديث أولدوافعها وأسبابها ، وربما أنّ بعض الفضوليين قد زاد فيها ونقص ، فبلغوها إلى ولي العهد الأمير أحمد مشوّهة ؛ فثار ثورة عارمة ؛ طيلة اليوم التالي وتهدّد وتوعّد «العصريّين» الذين ينكرون السماوات والجنة والنار ويستنكرون الصلاة على الرسول (ﷺ) ويفضّلون المتنبي على الحسين بن القاسم الخ وقال إنه سيلقى الله متقرباً بدمائهم ، وجرى بينه وبين السيد العلامة الشاعر زيد الموشكي حواراً حاداً ؛ وكان الأمير قد صرّح بأسمائنا الثلاثة «الشامي» و«الحضرائي» و«الفسيل» وبعد ذلك المجلس بأيام نزح الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري فارّين إلى «عدن» وبعد أسبوع تبعتهما مع الأخ زيد الموشكي وكوّنا حزب الأحرار.

واعتقل الأمير «ولي العهد أحمد» الأديب محمد عبد الله الفسيل رفيق الشامي وزميله ، وأقبل عيد الأضحى سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م بعد بضعة أشهر وقد ارتفع صوت حزب الأحرار بعدن ينادي بالإصلاح ، والتحق بنا الكثير من شعراء وأدباء اليمن إلى عدن وازدحمت السجون بالمعتقلين في صنعاء وحجة ولم يبق من ذلك «الثالوث» طليقاً حرّاً خائفاً يترقب غير ابراهيم الحضرائي فقال يهنيء «الأمير» بالعيد الكبير:

عواطف

قدسيّة الحب منها صغت أوزاني وحوها حمت كي أمتاح ألحاني
والشعر لن يخلب الأبواب رونقه إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني

يا من أذبت فؤادي في هواه وما
ما زال يصطاد بالآمال مجتهداً
حتى ذوى زهر آمالي، وأعقب لي
أهذه هي أيام الصبا، وإلى
فلو بلغت قصارى العمر ما نزعت
ماذا؟ سوى أنه حرّى يكاد لها
وصاحب أنا لا أنفك أذكره
مُنيتُ إلّا بإبعاد وحرمان
قلبي ويرميه من آن إلى آن
بين الجوانح الآلمي وأحزاني
رجوعها يتنزّى العاجز الفاني؟
عواطفني نحوها يوماً ووجداني
قلبٌ يذوب؛ وجفن دمعته قانٍ؛
على المدى وهو لا ينفك ينساني

[إلى آخرها وانظرها في الديوان].

فأنت تراه قد تحدّث عن الحب بلوعة وحنان وتشكّي من أيام وليالي الشباب
واستنكر واستغرب التلهف والحنين إليها إذ إنه لم يجد فيها متعة ولا خيراً؛ ولم يجن
فيها غير الأناث والدموع... ! ثم يؤكد «في دعوى اللامبالي» أن له دنيا مستقلة
وعالماً آخر يصرفه عن عوالم البشر ويعرّض بأصدقائه الشعراء الذين نزحوا إلى
عدن ويحذرهم من إيقاظ الفتنة العمياء قائلاً: دعوني اعش في دنياي الخاصة،
ولستم من همّي ولا شأني لأن نفسي خلية عمّا تهتمون به، ولها منها منادح لذلك
لا تحقّ على الزمان ولا تحقّد على إنسان مخاطباً الأمير بقوله:

وأنت لا زلت ياذا الجاه في دعة مباركاً لك في مال وولدان

ويعود فيمتدح جنته الشعرية الخاصة وكأنّه يزيد من طمأننة الأمير؛ بأنه
مشغول بحسنها الفذّ عن الإنس والجنّ، يجري في منعطفاتها وراء بنات عبقر،
وأنغامها تملأ وجدانه، وتنسيه كلّ ما حوله فلا شأن له ولا اهتمام بساس ويسوس،
ولا بأحاديث الناس عن «حزب الأحرار» الذي كونه أصدقاؤه. ولا شك أنه قد
أراد إثارة إعجاب الأمير وأن يبعث البسمات، بل والقهقهة، عندما قال:

لي جنة شيدتها لي ملائكة أو ربما هي من إبداع شيطاني

لكنه أيضاً لم يتمالك إلّا أن يقول وكأنّه قد تورّط في قوله هذا دون شعور:
هنا هنا ضجة كبرى، وعاطفة تبطن، وثورة بركان ونيران

وهو بيت مفرد يصوّر ابراهيم الحضرائي الشاعر المصلح الذي قال من قبل :

قل ؛ ولا تخش فما فا ز امرؤ داری وحبا

لكنه سرعان ما يتدارك السياق فيصرخ :

مولاي لولا حنان منك لاشتعلت نفسي بنار صباباتي وأحزاني

ويمتدح حنو الأمير؛ وأنه وحده الذي يرعاه ونجّاه من عفريت الزمان وقد كان في يده كالحمل بين أنياب الذئب العقور، وهي صورة بيانية بديعة؛ مؤكداً للأمير أنه مطمئن كل الاطمئنان راض كل الرضى بحياته في كنفه حيث لا ينغصه ضميره، ولا يخاصمه عقله، ولا يخزّه وجدانه، إن عاش عاش في وطنه سعيداً وإن مات فإلى روح وريحان ولذلك فهو يؤدي واجب الشكر وليس كمن قد غمطوا نعم «الأمير» وهو بذلك يعرض بأصدقائه الذين فرّوا إلى «عدن» وأنشأوا «حزب الأحرار» وطالبوا بالتغيير. . ولا شك أنه قد بلغه ما قد نشب بين أصدقائه النازحين من خلافات تنظيمية؛ اتخذ حيالها «نعمان»، و«الزبيري» وآخرون موقفاً، واتخذ «الموشكي» و«الشامي» - كاتب السطور - و«دماج» و«الحكيمي» و«أبوراس» وآخرون موقفاً آخر. . وأنه قد بلغه أن بعض أصدقائه قد ضاق بالغرابة ومتاعبها. . فكان لا بدّ لابراهيم وهو الشاعر والصديق أن يفعل ويقول شيئاً.

قلت إن إبراهيم الحضرائي الصديق والشاعر قد بلغه ما نشب من خلافات تنظيمية اتخذ حيالها الأستاذان الجليلان أحمد محمد نعمان، ومحمد محمود الزبيري وآخرون موقفاً معيناً واتخذ الأساتذة والمشايع زيد بن علي الموشكي ومطيع دماج، وعبد الله علي الحكيمي، وأحمد الشامي، وأبوراس، والقوسي وآخرون موقفاً آخر، وأنه قد بلغه أن بعض أصدقائه قد ضاق بالغرابة ومتاعبها؛ وأن الزبيري أصبح يقول:

أنا طيرٌ حطّم المقدور عشي وجناحي
ورماني في نثار من دموعي ونواحي
لا أرى إلا ظلاماً في غدوّي ورواحي
وحياة في صراع ونضالٍ وكفاح

ودياجير ثقلا نوما في كل ساح !
سدت الطرق إلى عشي من كل النواحي
لم أجد لمعة نور في اغترابي وانتزاعي
في سوى عشي لا تنزل أضواء الصباح
ما على الأقدار إن عدت لأهلي من جناح

ويقول:

من عذاب النوى وماذا يعاني	آه ويح الغريب ماذا يقاسي
نيا ولاحت هنتها لعياني	كشفت لي في غربتي سوء الد
فتلفت خيفة من زماني	كلما نلت لذة أنذرتني
وطني فاستفزني ونهاني	وإذا رمت بسمه لاح مرآي
مع، ولا في السماء، غير الأماني	ليس في الأرض للغريب سوى الد
وانهلي من شعاعها الريان	زفراي؛ طوفي سماء بلادي
حي فيها، وبردي ألحاني	اطفئي لوعتي بها، وأغمسي رو
بي، وقصي عليهم ما دهاني	وصلي جيرتي، وأهلي وأحبا
واملاي ربح افقهم من حناني	وانثري في ثراهو قبلاتي

وصديقه، ومن كان يريد أن يهاجر معه «أحمد الشامي» يقول من قصيدة:

وأعانيه	أذكارا	واشتياقا،	واغترابا
أنظر الكون ظلاما	وأرى الناس ذئابا		
حسرة أبكي أماني	وأحلامي	العذابا	
خيبة أندب آمالي؛	وما زلت	شبابا	

ويقول:

قدر أو مصيبة، أو جنون ليس يدري ماذا دهاه فهاما ؟
ليس في وسعه الكلام ومن جل مصابا؛ لا يستطيع الكلاما ؟
كل ما في لسانه أنه زاغ عن الأهل.. خشية أن يضاما
إلى آخر القصيدة.. إنه قد فزع لتلك الصور الكثيرة والأصوات الحزينة

المبللة بالدموع المذبوحة بالأنين وإذاً فليصرخ قائلاً:

ويحي فهاذا عساه كان يحدث لو أظعت بعض أوصيحابي وخلاني
إلى آخر الأبيات؛ ولم يكتف بهذا بل سرعان ما استأنف تمجيد الأمير ذي
القلب الكبير المتيم بالرحمة وفعل الجميل والذي حتى وإن قسا فإنه إنما يلجأ إلى
ذلك تأديباً وزجراً كما يفعل الأب الحنون الحكيم.

وعندما وصلتنا القصيدة إلى عدن وقرأنا هذه القطعة: «ويحي فهاذا عساه» إلى
آخرها استغرقنا في الضحك ولا سيما عندما قال:

لذاك ما رامه بالسوء ذو سفهٍ إلا وآب بخذلان وخسران
إذ قد بدأت مشاعر الرغبة في العودة تداعب البعض منا وطبعاً لن تكون
عودة نصر وظفر بل خذلان وخسران. وأما أظرف ما في القصيدة فهو قوله محاولاً
إظهار نفسه في لبوس الزاهد في الحياة الدنيا وزخرفها ثم استدراكه بأنه ربما لم يكن
كذلك بل إن الدنيا نفسها هي الزاهدة فيه وفي أمثاله ولا شك أن «الأمير» قد
استظرف المعنى، ولا سيما وقد أكد له الشاعر أنه لا يجب بعد الله ورسوله سواء
لأنه الذي نجاه وآواه.

وكان ابراهيم قد أنشد الأمير ولي العهد قصيدة طويلة أخرى هنا فيها بعيد
الفطر في شوال سنة ١٣٦٣ هـ (سبتمبر ١٩٤٤ م) ولم يكن قد مرّ على نزوح
الزبيري ونعمان والموشكي والشامي غير ثلاثة أشهر ومطلع القصيدة:

شاعر بات سادراً في مكانه	مصغياً لاستماع همس جنانه
تارة للحياة يُصغي، وطورا	لصداها يجيش في وجدانه
بات يوري بواعث الفنّ حتى	هاج فيه الخفيّ من أشجانه
عجباً منه شاعراً وهو في كل	أوان يهيم في وديانه
يحسب الشعر نازحاً قد تولّى	عنه وهو الغريق في طوفانه

ولا ريب أن ابراهيم - بوعي أو بلا وعي - كان يتحدث عن نفسه لأنه هو
الشاعر الذي ظل سادراً في مكانه وأما الآخرون فممنهم من نزح إلى «عدن»

ومنهم من غيَّبته «السجون» ولذلك فقد أحسَّ بأنه الغرَّيد الفريد في ذلك الجوّ وأراد أن يخلب ألباب السامعين - ولا سيما الأمير - بنغمة جديدة لم يتعودوا استماعها في مثل هذه المناسبات فقال :

إيه يا شاعر انتبه ها هو الكون غدا منصتا إلى فنّانه
فتنقل ما شئت في جوّه الرحب وحُم كالفراش حول جنانه
إنما الكون مصحف أنت يا شا عرقاري الجلال من تبيانه
طر مع نسمة الصباح وعانق كل غصن يمس في أفنانه
وتنسم ما شئت من عبق الأزهار، واجن الجني من ريحانه
وتسرّب إلى قلوب المحيّين بنشر الربيع في إبانه
وتلطف وحيّ أسرى «كيوبيد» وطف كالنسيم في أشجانه
فهناك القلوب كلّمي، هناك النار تطفئ؛ هناك وخز سنانه

ولا أدري بأي أحاسيس قد استمع الناس ومنهم العلماء والفقهاء، وقادة الجيش في حفل «العيد» الذي يتربّع على عرشه «ولي العهد» سيف الإسلام أحمد إلى الشاعر المجّد ابراهيم الحضرائي يفتتح قصيدته بمثل هذا البيان عن الشاعر والشعر و«كيوبيد» وكان قد عودهم شاعر اليمن محمد محمود الزبيري أن يقول في مثل هذا الحفل :

العيد من بسّات ثغرك يشرق والدهر حول جلال عرشك يطرق
والأرض نيرة بوجهك تزدهي والشعب أفئدة بحبك تحفق

أو بمثل قوله في أبيه الإمام يحيى بن محمد حميد الدين :

من نور هذا المحيا يشرق العيد ويعبق المجد والعلياء والجود
ما للمحاكم تستفتي أهلتها ، وأنت يا سيّد الأقطار موجود ؟
ما أنت إلا شعاع الله جاء به من غرة المصطفى آباؤك الصيد

ولكن ابراهيم لا شك أنه قد أرضى الأمير الكبير وأطرب السامعين وبدّد وحشة الصمت بصوته الرصين وهو يتفنّن في مدح الأمير بعد أن تحدث عن الحرب العالمية الثانية التي كانت تطحن الوجود، وبعد أن تحدث عن الشرق وأعجاده وفضله

على الحضارة، وعن الغرب وطغيانه وعن لمآسي الحرب التي:

فتحت للشقاء باباً وألقت اسراء النعيم في أحضانه
هتف الفيلسوف يبغي نجاة من ضجيج الزمان من غليانه
وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره ببيانه
فتلاشى أئينه في خضمّ صاحب كالجحيم في طغيانه

وطني؛ لا عليك قد صانك الله وألقى عليك ظلّ أمانه
لك هادٍ من نوره، لك سيفٌ يدفع السوء عنك من قرآنه
لك يا موطني سراً عليهم رضى الله في قديم زمانه !
هم دعاة الإله فينا، وهم ما برحوا اليوم حارسي أديانه
حملوا مشعل الهداية للخلق وليل الضلال في عنفوانه
كلّ ليث منهم يدافع عنا كدفاع الكريم عن صبيانه
يثب الدهر بالخطوب، وهذا شمس دين الإله من أقرانه
جاءنا العيد نوره من محيّا ه مضيئاً ولطفه من جنانه

[إلى آخرها، راجعها في الديوان]

ولعلّها لم تكن من المصادفات اختياري لنفس الوزن والقافية عندما عدتُ،
وآب معي أيضاً «زيد الموشكي» والشيخ «عبد الله الحكيمي» و«مطيع دماج»
و«حسن أبو راس» و«محمد البقوسي» و«محمد صالح جميزه» و«عبد الله عبد الوهاب
نعمان» إلى تعز طالين عفو الأمير وأنشدت في مجلسه قصيدتي «اعتراف» ومطلعها:

خلّه يخلب النّهي ببيانه ويناجي آماله بلسانه
دعه ييكى أحلامه بدموع عصرت من شعوره وحنانه
ويغني كما يشاء ويسقي ثمرات الأوهام من ألحانه
يرسل الصوت مظلماً كمنت فيه، وفي لفظه هموم جنانه
كالشعور الجريح كالأمل الخائب؛ كالطير ضلّ عن أفنانه

ومنها:

أنا كالعابد الذي هجر الكون وأمدى ولجّ في نسيانه
أثخنت قلبي الجراح فتياً وغرور الشباب في عنفوانه
كم صروف قاسيتها؛ كم ظروف كنت فيها كالميت في أكفانه
كالذي يغسل الظلام عن الأرض بدمع يسيل من أجفانه
أو كمن يعلن الكفاح ولا يملك من قوة سوى إعلانه
أحرقت قلبي الهموم وما شكواي إلا بقية من دخانه
[إلى آخرها] .

وابراهيم الحضرائي من شعراء المعاني ، ولا ينظم الشعر لمجرد التسلي بل
ليسجل فكرة أو ليدع معنى ما ، وما قاله في تلك الفترة ١٣٦٣ هـ و ١٣٦٤ هـ
(١٩٤٤ - ١٩٤٥ م) ما يلي :

أنا والحبيب

أريه أنني قد تحبته	ولم يعد قلبي في أسره
لكي أرى منزلتي عنده	وأعرف المكنون من سرّه
معتقدا أنني سأقضي على	دلالة الزائد أو كبره
ولا تسل عما تكبدته	من ألم الصبر؛ ومن ضره
فيا لسوء الحظ لم يجدني	شيئاً سوى أن زاد في هجره
فلتضحكوا من قصتي انني	أصبحت كالحائر في أمره

وله:

وكم أفكر في ذنب أزيل به حب التي تيمّنتي لوعة وضئى
فما رأيت قبيحاً من خلائقها إلا استحبال على حكم الهوى حسناً

وقال مودّعاً صديقه الشاعر حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف عند
مغادرته لتعز في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) :

يا صديقي قل لي متى حازك اليبس وبلغت من أمانيك شيا ؛
أترى أنت ذاكري يوم كنا نشكي هذه الحياة سويا ؟

عبد الله العزب

وقال يرثي القاضي العالم الأديب الشاعر عبد الله بن محسن العزب المتوفى في تعز في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م وقد دفن في مقبرة الاجينات بتعز حيث قبر الإمام ابراهيم بن تاج الدين :

هو نجم هوى ، ونصلٌ تحطم وبناء من الفخار تهدم
ويحكم أيها اليمانون ؛ هذا كارث في البلاد يُبكي له دم
لا تقولوا فردٌ مضى فلعمري إنه ؛ أمةٌ وجيش عرمرم
إنّ نفس العظيم تحمل ما لم يتمكن من حمله العدد الجم
سر إلى الخلد أيها العالم الفدّ ؛ ودعنا من الأسى في جهنم
سر إلى حيث ينتهي الخير والشر جميعا ، ويستوي المدح والذم

[إلى آخرها وانظر الديوان].

وله هذه البديعة أنشدتها في حفل عيد الفطر سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م أمام ولي العهد سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين في تعز :

ما باله في حنايا الصدر نشوان في كل يوم له شجو وأشجانُ
قلْبٌ سقته الليالي خمرة فصحا من حوله كل قلب وهو سكرانُ
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرة في باله إنه بالشعر ملان
يميد للفرّ إذ يذكي صبابته كما تميد لعصف الريح أغصان
والذكريات إذا هاجت به فكما تجاوبت في فيافي اليد غريان
يعيش في هامش الأيام ما عرف الدنيا ، وما زال يمشي وهو حيران !
إلا خيالات أوهام يصورها غير الحقيقة إحساسٌ ووجدان
يا قوم إن حياتي كلها حلمٌ ؛ وإنني من عجيب الأمر يقظان
وربما كانت الدنيا بأجمعها حلمًا سترويه أجيال وأزمان
هو الوجود ؛ ولكن كلّه عدمٌ وإن أضعف شيء فيه إنسان

وربما أن البعض ممن يسيئون الظنّ بشعر «المديح» سوف يغيّرون وجهة نظرهم بعد قراءة هذا النوع والاطلاع على الدوافع والآمال.

والحديث عن ابراهيم بن أحمد الحضرائي الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعر لن يملّ - بالنسبة إليّ على الأقل - ولأنّه لم يهتم بشعره ولم يهتم به أحد فيشره أو يجمعه في ديوان وهو شعر كثير لأن ابراهيم مثل والده ذو نفس طويل وشاعرية جيّاشة، ما خلا قلبه من حبّ، ولا انصرف عن تأمل، ولا يستطيع إلّا أن يفعل بكلّ ما يقرأه أو يعلمه أو يشاهده، وإلّا أن يقول شيئاً في ذلك الذي يفعل به أو له مما يقرأه أو يعلمه أو يراه. . لكل ذلك ساطيل الوقوف مع ابراهيم، وأكثر إيراد الشواهد والأمثلة من شعره لأنه لم يجمع بعد في ديوان وهو موزّع هنا وهناك وصاحبه ليس في حوزته منه إلّا القليل أو ما يحفظه عن ظهر قلب وهو والله الحمد يحفظ الكثير منه، ولكن بعضه قد نذّ عنه وشرّد؛ وعندما أطلعت على قصائده بخبط يده قالها وكتبها قبل أربعين عاماً قال لي: «أشهد أنك احفظ من في الأرض واللّه لولا أني رأيتها بخطّي ما صدّقت أنها من شعري»؛ وقبل أن أورد بعض تلك الأشعار سأعرض لما أومأت إليه من قبل من أن البعض ممن تأثر بالدعوة الظالمّة إلى إهمال شعر شعراء اليمن قبل الثورة (١٩٦٢م/١٣٨٢ هـ) لأن معظمه في المديح والرثاء، إذا أوردت بعض تلك الأشعار وعلّلت دوافعها قد يغيّرون نظرهم إلى ذلك الشعر؛ وسيعرفون أن شعراء تلك الفترة كانوا يغتنمون المناسبات في الأعياد أو غيرها فيمدحون أو يهتّون الحكام والأمراء بقصائد لا تقتصر على التهنئة والمديح بل يتعرضون فيها لمختلف المواضيع الفنية والتاريخية، والاجتماعية، ويثون فيها آراءهم ونظرياتهم وأحلامهم وآمالهم وذلك ما هو موجود في قصائد الزبيري (وقد حذفها جامع ديوانه مع أنها أروع ما فيه بيانا وشعرا). وما أوردنا هنا من قصائد ابراهيم فيه الدليل والمثال، فهو يقول من قصيدة طويلة:

يا ويح قلب عميق الحزن ليس له من كلّ ما هو فوق الأرض سلوان
لم يهو إلّا بطولات يشاد بها للعلم ركنٌ، وللأخلاق بنيان
أو عبقرية حرّ إن هي اكتفت امرأً بدا وعليه لاح إتقان

وَجَّهْ فؤادك يدن كلّ مبتعد
أولا فتم عن أمور أنت مشغل
إن لم يكن لسواه فيه سلطان
بغيرها إن عقبى السعي خسران

مولاي أجرك عند الله مدّخر
تعبت كي ما يذوق العيش ذو سغب
إذ لا يقوم بما أسديت شكران
طاو، وكى يتردى الثوب عريان
وهل هنالك مثل الجود منقبة
بها يؤمل من ذي العرش غفران؟

مولاي لامست جرحا طالما غفلت
فقمت تمنحه الأسعاف من كئيب
عنه عقول، وصدت عنه أذهان
كي ما تهدد آلام وأحزان
فحظه منك عطف غير منقطع
إن لم تكن أنت من يبغي الشفاء له
فمن؟ وهل يُرنجى في القوم إنسان؟
مولاي إن عيون الجيل قد شخصت
إليك؛ إذ أنت للأسطول ربّان

[إلى آخرها في الديوان].

وكأني بالشاعر ابراهيم بهذه الأبيات قد أراد أن يُطمئن الأمير بأنّ الشعر وفخامته لم يغيبا عن ساحة الاحتفالات بغياب شاعره الكبير محمد محمود الزبيري الذي كان ينشده في إحدى مناسبات «العيد» منذ بضعة أشهر وقبل أن ينزح إلى عدن قوله :

العرش عرشك لا سواك ولن ترى
وإذا امترى قوم به قلنا لهم
نذّا إلى آفاق عرشك يرمى
هذي السما؛ فثبوا إليها وارتقوا
ربّتك أمتك التي ترجو بما
صنعتة مجداً في يديك يحقّق
فنشأت في أجفانها، وقلوبها
تخشى عليك من النسيم وتشفق
تأوي بصدر حنانها لم تقتعد
أفهل تراها بعد هذا كله
ترضى سواك لعرشها يتسلق

وابراهيم الحضرائي في طليعة شعراء اليمن الذي زاول هذا الشعر الذي يسمونه جديداً وكنا قد شغفنا به معا كما ذكرت في مقدمة ديواني «لزوميات الشعر الجديد» وما قاله ابراهيم حينذاك (١٩٤٣ م/ ١٣٦١ هـ):

هذه المدوّرة :

ما لقلبي يتضرمّ وكياني يتهدّم أيها النفس حنانيك .. اهدهني
أيها الآمال .. مه .. لا تعبسي .. وابتسمي
لم لا أحيأ كما تحيا الطيور وادعأ ؟
أتغنّى حين أغدو وأروح لاهيا
لا أبالي همّ أمسي أو غدي ،
واجدا في كل شيء متعتي ؟
في الهواء الطلق .. في عرف النسيم .. في خرير الماء .. في سحر الأصيل ..
لستُ بالمسؤول عن هذا الوجود
أنا فيه ذرة في جبل .. أو حصاة في خضمّ مزبد
إنما جئت لأحيأ
بفؤاد كالربيع
لا ترى فيه سوى غصن يمس .. وهزار يتغنّى .. فيه أو زهر يضوع .
إلى آخرها وانظر الديوان .

وله وهو معتقل في «نافع» و«قاهرة حجة» أناشيد وطنية متداولة وقد بقي في
السجن اثر ثورة سنة ١٩٤٨ م / ١٣٦٧ هـ حوالى أربع سنوات رثى خلالها بعض
شهداء تلك الثورة كالأمير سيف الحق ابراهيم ابن الإمام يحيى .. وإمام الدستور
السيد عبد الله الوزير والقائد الرئيس جمال جميل العراقي ، وله اعتذارات
وتضرّعات إلى الإمام أحمد ومدايح وتوسلات إثر خروجه من المعتقل ، وله قصائد
كثيرة قالها في المؤتمرات الأدبية التي عقدت في «القاهرة» و«الكويت» و«دمشق»
و«بغداد» من بعد أن هبت ثورة ١٩٦٢ م / ١٣٨٢ هـ حتى العام المنصرم سنة
١٩٨٤ م / ١٤٠٣ هـ . ومن آخر ما سمعته منه عندما زارني في «بروملي» في اكتوبر
١٩٨١ م ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ قوله :

ما زال . . ظلاماً !

كل فجر مرّ فجر كاذبٌ	فمّى الفجر الذي لا يكذب
لم تزل أضواؤه غائرة	وعليها من قِتامٍ حجب؛
حجبٌ . . لكنها زائلة	إنه آت . . فعش يا رجب!
أملي قبل الأقي أجلي	أن أراه ساطعاً يقترب
يمنح الناس يقيناً صادقاً	«هو أنا في المعالي «عرب»

إلى آخرها أنظر الديوان .

وهو شعر أنضجته تجارب السنين فعمد إلى الرمز والتعريض . . ولكن الروح «الابراهيمية» تنبض في حروفه وأبياته ؛ وتجمع بينه وبين شعر قاله قبل حوالي أربعين عاماً وأوردت بعضه في هذه الترجمة ؛ وأنشدني أبياتاً رائعة عنوانها :

قلب ونبع !

أيها النبع أنت تشبه قلبي حين تعطي ولا تملّ عطاء

وقال إنه استوحاها من نبع معيّن في طريق «الحديدة» .. «صنعاء» كان كثيراً ما يعرّج إليه مع بعض أصدقائه إذا سافر بينهما ؛ ولابراهيم أبيات «مفردة» تفرد بها بين شعراء اليمن ومنها قوله :

أحببت حتى صرت أرثي لمن مات ولم يظفر بأحبابه

وهي عشرات إن لم تتجاوز مائة بيت . وليست في متناول يدي الآن . وبينه مراسلات شعراً ونثراً لو جمعت لكانت سفرأ كبيراً ومن مختار شعره قوله :

مستهامٌ يعبث الشوق به	عبث الموج بأنات الغريق
قلبه الدامي وقد حمّله	من تباريح الهوى ما لا يطيق
ليس ينفك حزينا موجعا	يصحب الأيام بالجرح العميق
وحّدته في الورى أشجانه	فهو في واد من الشجوا سحيق

حيث لا موجدة من ناغم تبلغ الشكوى، ولا نجوى صديق
حار في حمل الهوى؛ لا كفه عافت الكاس ولا جف الرحيق

لا أنقذ... بل أعرف!

قبل أن نفارق شاعرنا ابراهيم الحضرائي؛ والاعجاب بالمعيتة ولطفه، وخفة روحه، ورقة قلبه، وبلاغة بيانه، قد أخذ - ولا شك - بالبابنا؛ أود أن أذكر بأني منذ استرسلت في كتابة هذه السلسلة من التعريفات والتراجم قد تلقيت عدة رسائل في بعضها الثناء العطر والاستزادة والتشجيع؛ وهؤلاء شكري الجزيل، والبعض يطلب أن أكتب صفحتين في الأسبوع أو مرتين أو أكثر محسنين الظن بقدرتي، وبسعة صدر جريدة «الشرق الأوسط» وهؤلاء أيضاً شكري؛ وأما البعض فقد اعترض وزعم أنني قد حشرت بين الشعراء من لا يجوز أن نطلق عليهم لقب «الشاعر» لأنهم لا يجيدون إلا تقطيع الكلام، وتفاعيل العروض، ورصف القوافي، وقد استشهد أحدهم بقول «شوقي»:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

ويقول البعض: «حتى ولو وجدت بضعة أبيات لعالم أو فقيه، ثم لم يتعبد للشعر ويمارسه ويكثر منه، فلا يجوز أن نحشره في زمرة الشعراء»!

وأما آخرون فقد تناولوا وقالوا: «لقد مات عهد هذا النوع من الشعر ونحن الآن في عصر «الشعر الحر»، وقد تحطمت أغلال الأوزان والقوافي، وذهبت إلى غير رجعة، ودخلنا في عهد قصيدة النثر، أو القصيدة الجديدة، فلماذا العناية بالموميات، وبعثها ومحاولة إحيائها؟»

ومع تقديري لوجهة نظر البعض واعتراضي بصدق ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي؛ وإن أعذب الشعر ما نم عن وجدان دخيل، ومشاعر ذاتية، وذكرى وعاطفة، إلا أن عليهم أن يقدروا أنني لا أجمع مختارات شعرية فأتحري انتقاء الأجود والأروع؛ ولسْتُ في سبيل النقد ولا قصدتُ بهذه التراجم والتعريفات، فازيف الفاسد، وأفتد الركيك، بل وأتحاشي إيرادها؛ وقد أردت أن أعرف

بشخصيات يمنية وقفت على أسمائهم في أثناء قراءاتي لكتب الأدب والتاريخ التي لا يزال معظمها في الخزائن الخاصة، أو لم يطلع عليها المهتمون بأدب العرب وقد ذكرت تلك الكتب أن هؤلاء الأشخاص قد قالوا أو كتبوا شعراً بالمفهوم والمصطلح الذي وضعوه حداً جامعاً مانعاً لكلمة «الشعر» وهو: «الكلام الموزون المقفى» في أي موضوع كان؛ لأنهم إنما أرادوا التمييز بين أنواع الكلام.

ولا يهمني بعد ذلك أن يكون قائله مكثراً أو مقللاً، محسناً أو مسيئاً، ضاع شعره وفقد، أو حفظ ونشر، أهمله الناس، أو تناقلته الألسن، إلا بمقدار اهتمام من يعرف بقائله، ويذكر ما قرأه أو عمله من أخبارهم.

ونحن نعلم أن الكثير من أشعارنا قد ضاع بالكوارث والفتن، وأن الكثير منها أيضاً لا يزال موعوداً، وأن شعراء كثيرين لأسباب سياسية أو اجتماعية أو في حالات نفسية معينة قد كتبوا أشعارهم، وآخرين قد أبادوها أو أحرقوها، ومنهم من نسبها إلى غيره، ومنهم من كان يبيعها مقابل جعل حقير تافه يداري به ضرورة عوزِهِ؛ وأنوي أن اسجل كل ذلك أو بعضه وهل سأكشف سرّاً إذا قلت: إن قصائد كثيرة قد أنشأها شاعرنا إبراهيم الخضرائي وفيها الذكرى وفيها العاطفة، والمدح والهجاء والرثاء، وهبها أو باعها لأفاضل بعضهم قد لحق بربه وبعضهم ما يزالون على قيد الحياة ويدعون أن تلك القصائد من بنات قرائحهم!؟

هذا بالنسبة إلى الجودة والركاكة واعتراض القائل بأنّي لا أنتقي الأحسن، ولا أختار الأروع، أو أنني قد أنقل ما لا يستحق العناية أو الرواية فنياً؛ وعذري - أولاً - أن ما قمت به من تنقيب وبحث وراء النصوص لمن أترجم لهم هو غاية جهدي، وأعرض البضاعة التي وجدتها، ولا أهمل الحسن والجيد، بل أفضل نشره وعرضه لو وجدته...!

وثانياً: - وهو الأهم - أن الشعراء يتفاوتون طبقات ومراتب، ولا يصح تأديباً وتاريخياً أن نستبعد من يحكم الوزن ولو في ركة تعبير عنهم، ولا يجوز أن ننفي الضعيف منهم عن زميرتهم، وقد أدرك العرب ذلك فسمّوا الشاعر المفلق «خنذيذاً»،... والخنذيذ هو الشاعر الفحل المجيد البليغ العالم بأيام العرب وأشعارهم

ومن دونه قدرة وبيانا ستموه «الشاعر» فقط . ثم «الشويعر»، ثم «الشعور» والشعراء «الخناذيد» المتفوقون الذين يحسنون أكثر ما يسيئون قلة، ولا يتوافدون على دنيا الأدب إلا في دورات تاريخية متباعدة الفترات؛ ولعل عشرة فقط ضمن الخمسين الذين أعرف بهم ممن اسمه «ابراهيم» من شعراء اليمن هم الذين يستحقون لقب «الشاعر» لأنهم قد تعبدوا للشعر وأجادوا صنعته، وكان انتاجهم فيه ثراً غزيراً قوياً . يعجب ويطرب ويروى ويتناقله الناس كما تناقلوه قديماً لأبي فراس والشريف الرضي، وحديثاً للبارودي وعلي محمود طه؛ وأما «الخناذيد» فأقل من عشرة. ولا شك أن «البراهمة»؛ «اليافعي»، و«الهندي» و«الحضرائي» أقواهم وأجودهم وأغزرهم شاعرية في تاريخ الأدب اليمني بعد القرن الحادي عشر الهجري .

ثم إن أشعار الناس تتفاوت وتختلف جمالاً وقبحاً، وجودة ورداءة، كما تختلف وتتفاوت أذواقهم؛ ومع ذلك فهناك حدود ومقاييس ومعايير للجمال والجودة، والإحسان والسوء، والخير والشر، ويلتقي عندها جميع عقلاء البشر؛ لأنّ العقل الخالص واحد ومن المعقول أن نختلف في تقدير من هو، أو ما هو الأفضل والأحسن، والأكثر جمالاً والأقرب إلى الخير والتقوى، أو عكس ذلك كله . ولكن ليس من المعقول أن نسمي القبح حسناً، والظلم عدلاً، والشر خيراً، والفوضى نظاماً، و«النثر» - حتى ولو كان فنياً - «شعراً» وهنا أصل إلى حوار «المتطاولين» .

الشعر العربي ومميزاته :

وأما «المتطاولون» الذين زعموا أنّ عهد هذا النوع من الشعر الذي أعرف ببعض قائله قد مات؛ وأننا نعيش في عصر «القصيدة الجديدة» أو «الشعر الحر» المتمرد على الأوزان والقوافي، فلن أجاد لهم في قيمة ما يزعمونه جديداً؛ وأحيلهم موقتا على ما كتبه ويكتبه حالياً الأستاذ علي العمير في مجلة «المجلة» عن «الشعر الحر»؛ ولأني قد أعود إلى «الموضوع» عندما أتحدث عن الشاعرين اليمنيين

المعاصرين ابراهيم صادق، و ابراهيم اسحاق إن شاء الله؛ غير أني لا بد أن أقول كلمة قصيرة عن «الشعر العربي» وخصائصه المميزة له عن غيره بل وعن الفرق بين كلمتي «نثر» و«شعر» في تاريخ آداب الأمم ولغاتها.

العربي الأصيل شديد الحرص على تحديد ما يريد أن يسميه أو الإعراب عنه، أو تبين ماهيته، وإيضاح حقيقته، والافصاح عن كنهه كما عملوا عندما حدّدوا مراتب الشاعر وألقابه إتقاناً وجودة، أو ضعفاً وركاكة. . . ولذلك تعدّدت الألفاظ والمترادفات والمسمّيات في اللغة العربيّة ومن لم يفهمها على هذا - وهو من الدقّة والخفاء بمكان - فهو لا يفهم سرّ اللغة العربية وعليه أن لا يجشم نفسه معرفة لماذا تعدّدت اسماء الناقة والجمل والسيف والأسد، والحب ومراحله، والكره ودوافعه، والشباب والشيخوخة، والصحة والمرض، وفي صفات شتى لما قد يظنّه لدلول أو مسمى أو معنى أو شيء واحد، دون أن يعرف أن لكلّ لفظة وصفة معنى قائماً بذاته تدلّ عليه ومن أراد التأكد فليراجع «فقه اللغة» للشعالبي.

ولأن العربي الأصيل شديد الحرص على وضع الحدود والصفات الجامعة المانعة لكل ما يسمّيه؛ أطلق لفظة الشعر على «منظوم القول» لشرفه بالنغمة والوزن والقافية؛ وجاء علماء الشعر فوضعوا له حدّاً يفرّق بينه وبين «النثر» فقالوا «الشعر: هو الكلام الموزون المقفى»؛ وإذا فالكلام طبعاً وذوقاً وفناً وعلماً لا يسمّى عند «العربي» شعراً إلّا إذا كان موزوناً مقفى سواء أكان جيّداً أو رديئاً شريفاً أو خسيساً، تقبله الطباع وترتاح إليه النفوس أو تنكره وتنفر منه وتستهجنه؛ وما ليس بموزون ولا مقفى من القول يسمّيه العربي «نثراً» سواء أكان خطابة أو مقالة أو مقامة، مرسلأ أو مسجوعاً بليغاً فصيحاً رائقاً، أو رذلاً ممقوتاً.

وللقافية عند العرب أهمية كبيرة، وكثيراً ما يُبنى البيت عليها، فإذا كانت متمكّنة برز البيت فخماً رائعاً تتلقّفه الأسماع بتوق، أما إذا كانت قلقة فإن البيت يبدو مضطرباً، وتنفر منه الطباع، وقد كان العرب - ولا يزالون - يُطلقون أحياناً على القصيدة «القافية» وعليه قالت الخنساء:

وقافية مثل حذّ السنان تبقى، ويذهب من قالها
وأما استقامة الوزن، واشتراط التفعيلة الموسيقية في الشعر؛ فلا يسمى
الكلام والقول عند العرب شعراً بغيره كما أسلفنا، وقد تساهل البعض في
«القوافي» وأجازوا تعدّدها أما في «الوزن» فلا؛ وقد قال الجاحظ: «العروض
ميزان الشعر ومعياره وعليه مدار القريض» وقال علي بن عبد الرحمن: «العروض
علم يُدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعراً»، وهذا هو القول الفصل
فليُسمَّ أصحاب «الشعر الحر» الذي لا يتقيد بنغم تفعيلي، ووزن موسيقي، ما
شاءوا إلّا شعراً عربياً.

ولا أريد أن أطيل مناقشة أولئك الذين لولا «العجز» و«العجمة» ما تصدوا
لمحاربة «القوافي» و«الأوزان» لأن «العجز» و«العجمة» أيضاً سيجعلانهم لا يفهمون
كلامي؛ وكيف وقد عجزوا أن يفهموا أن الفرق بين كلمتي «الشعر» و«النثر» مثل
الفرق بين لفظتي «الرقص» و«المشي» و«الغناء» و«الحديث» و«النغم» و«الكلام»
و«الزفة» و«الدبكة» و«العرضة» . . وسائر أنواع «الاحتشاد» ! ثم ألم يفكروا ويعرفوا
أن الأطوار الزمنية التي مرت على اللغة العربية وآدابها ظلت تصفّحها وتصفّلها،
وتهذبها حتى كان لنا منها «شعر» ونثر فني ولكلّ حدّ جامع مانع؟؟ ألم يعقلوا أن هذا
القول اللطيف الراقص «الموزون المقفّ» ما وصل إلى هذه المرحلة إلا بعد تطور لغوي
وأدبي ولساني وفكري ربما استمرّ مئآت بل آلاف السنين؟ لو عقلوا ذلك - وطبعاً لن
يعقلوه - عجزا وعجمة - لعرفوا أن الدعوة باسم «التجديد» إلى التمرد على «الأوزان»
و«الموسيقى» و«التفعيلة» و«القافية» في الشعر العربي دعوة فوضوية رجعية بدائية
حجرية «دينصورية» في تاريخ آداب العرب .

عودة إلى إبراهيم الحضرائي:

ولا نستطيع أن نودّع شاعرنا إبراهيم الحضرائي دون أن نذكر بأنّه من أبلغ
الشعراء بكاءً على أصدقائه، وأنّ مراثيه من شعر الطبقة العليا جودة وبيانا تلمس
فيها صدق اللوعة ووجعها، ويخيّل إليّ أن سبب ذلك يعود إلى إخلاص وفائه، ولا
سيما لذكرى ما فات ومضى وتصرّم من الأحداث والأصدقاء، فهو كثير الحنين إلى

الماضي حتى ولو كان متعباً؛ كما قال أبو الطيب:

خلقتُ ألوفاً ؛ لورجعت إلى الصبا لفارقت شبيبي موجع القلب باكياً
وهو إلى ذلك يعترف بالجميل ويقدر أهله، وليس من السهل عليه أن يخسر
صديقاً حتى ولو كان قد أساء إليه.

ومن آخر ما بعث به إليّ من شعره عندما كان في «برلين» للعلاج في أواخر
عام ١٩٨٢ م / ١٤٠٢ هـ ثلاث قصائد الأولى عنوانها: «جيل التحدي» يرثي بها
صديق الجميع الشاعر عبد الله عبد الوهاب نعمان وهي:

كادت شمس الجليل أن تغرباً وأوشك الينبوع أن ينضباً
جيل، تحدى الهول مستبلاً وصير الحق له مطلباً
فهل درى الموت وقد غالمهم أيّ سيوف فلّ منها الشبا؟

ومنها:

أخي «أبا مروان» صفحاً إذا كان يراعى في رثائي كبا
أنت مقيمٌ بيننا لم تمت والنور في مشكاته ما خبا
تصني لك الخضراء؛ «سيوونها» «حوطتها» «صنعاؤها» «كوكبا»
وحّدت بالفرحة ما بينها ووحدت الفرحة لن تغلبا!
واجتمعت؛ فلندع لا فرّق الأعداء بعد اليوم أيدي «سبا»

وهو في المقطع الأخير يشير إلى شعر «نعمان» الغنائي الذي وحّد اليمينين في
الشمال والجنوب على الاعجاب، ثم ذكر «المدن» المشهورة بالفن والغناء تاريخياً،
ومنها «كوكبان» التي لجأ فيها إلى «الاكتفاء» البياني؛ ثم وضع «أيدي سبا» في مكان
لو لم يكن «خنديذاً» ما قدر عليه؛ فقل لمن يحاربون الوزن والقافية: هل كان
سيتمكن من هذا النحت الرائع بلا وزن ولا قافية؟

بكاء الشعراء على الشعراء

ومرثاة ابراهيم الحضرائي لصديقه الشاعر المَقَنَّ عبد الله عبد الوهاب نعمان
تذكرني بمرثاته لصديق الجميع الشاعر الحفاظة عبد الله حمران والتي مطلعها:

أنا ميتٌ فمن يقول رثائي؟ بعدما غيب الردى أصدقائي!
كيف أرثيهم بشعري وإني لجدير من بعدهم بالرثاء؟
مخنٌ كلما رمى الدهر سهماً وهوى واحدٌ؛ تسيل دمائي

وليس في متناول يدي منها غير هذه الأبيات، ولا شك أن ابراهيم قد
استوحى المطلع من مرثاة أحمد شوقي لصديقه الشاعر حافظ ابراهيم والتي
مطلعها:

قد كنت أوتر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وفي تاريخ الشعر العربي عبر العصور من نوح الشعراء على الشعراء مراث
تؤلف ديواناً في عدة أسفار لا نظير له عند سائر الأمم، وهو جدير بأن يجمع على
حدة، ويُدرّس ويُدرّس كفنٌ مستقل من فنون الثقافة الإنسانية؛ ولو وجدت
فسحة من العمر والوقت لألفت فيه دراسة ربما كانت مفيدة وممتعة؛ ولقد وجد بين
الشعراء من يطلب من زميله الشاعر أن يرثيه وينوح عليه شعراً إذا مات، وقد
أشار إلى ذلك بشارة الخوري في مرثاته لأمير الشعراء أحمد شوقي فقال:

سألتنيه رثاءً؛ خذه من كبدي لا يؤخذ الشيء إلا من مصادره

وقد جمعتُ من ذلك فرائد ونوادر، وبلغ الظرف بشاعرين يمينين أن يطلب
كلّ منهما من الآخر أن يرثيه قبل أن يموت وأن يسمعه ما سيقول فيه وسنورد ذلك
في مكانه؛ ولعلّ شيئاً من هذا القبيل قد خطر في بال ابراهيم الحضرائي حين قال:

أنا ميت فمن يقول رثائي بعدما غيَّب الردى أصدقائي
ولابراهيم الحضرائي مراثاة رائعة في الشاعر محمود حسن اسماعيل وأخرى في
الشاعر صالح جودت .

الحرية :

أما القصيدة الثانية مما نظمها إبراهيم وبعث به إليّ في الفترة الأخيرة فقد
سمّاها: «قصتي مع الحسناء» وأخبرني أنه يعني بالحسناء «الحرية» وهي :
عذّلوني في محبّتها وهوّاها وحده قدرتي ؛
من أنا حتى أعاندها ؛ وهي في سمعي وفي بصري ؟
حمّلتني ما تنوء به - في هواها - طاقة البشر
واليكم قصتي معها بعض ما يروى من الخبر
لست أنساها وقد بسمت كابتسام الروض بالزهر
ثم قالت غير آبهة بي ؛ بما حولي من الأطر:
إن هذي الدّار ضيّقة ضيقها يفضي إلى الضرر!
إلى آخرها وأنظر الديوان رقم : ٤٥

حافظ وشوقي :

وعندما احتفلت مصر بمرور خمسين عاماً على وفاة الشاعرين شوقي وحافظ
انتدبت اليمن إلى القاهرة الشاعر ابراهيم الحضرائي والشاعر عبد الله البردوني .
وقد حدّثني ابراهيم مستغرباً كيف اكتسب «البردوني» اعجاب الناس بقصيدته
التي ألقاها في المهرجان مع أنها لم تُقلّ في المناسبة ذاتها، بل هي من شعره الذي
نشره في ديوانه «وجوه دخانية» الذي طبع في الكويت سنة ١٩٧٧ م وعنوانه
«سندباد يمني في مقعد التحقيق» ومطلعها :

كما شئت فتش . . أين أخفي حقائبي أتسألني من أنت ؟ أعرف واجبي
وهي من النظم التقريري كأن الشاعر يروي به خبراً في صحيفة أو يسجّل
محضر جلسة تحقيق بطريقة نظامي «المتون» الفقهية والنحوية مثل قوله :

نعم؛ أين كنت الأمس؟ كنت بمرقدي
رحلت إذن؛ فيما الرحيل؟ أظنه
إلى أين؟ من شعب لثان بداخلي
تحدثت بالأمس الحكومة مجرم
وماذا عن الثوار؟ حتما عرفتهم!
وماذا تحدثتم؟ طلبت سجارة
شكونا غلاء الخبز.. قلنا سنتجلى
وجمعتني في السجن، في السوق شاربي
حديداً، أنا فيه، طريقي وصاحبي
متى سوف آتي! حين تمضي رغائبي
رهنت لدى الخباز أمس جواربي!
نعم حاسبوا عني، تغدوا بجائبي
أظن وكبريتا؛ بدوا من أقاربي
ذكرنا قليلاً.. موت «سعدان ماربي»

إلى آخر «الجزوية».. وكان موضوعها - لافساد الذوق الشعري - هو الذي
كسب إعجاب الجمهور، أو أنه صوت الشاعر الجهير وطريقة إنشاده، وهالة
مظهره، مع أن قصيدة إبراهيم ألفاظها فصيحة، وتراكيب كلماتها منسجمة
ومعانيها بديعة، وقوافيها محكمة كما قال ابن عني في وصف شعر جيد:

معنى بديع، وألفاظ منقحة غريبة، وقوافٍ كلّها نخب!

وقد حدثني إبراهيم أن الدكتور ناصر الدين الأسد وهو الناقد المدره قال له
- ولكن هامساً - «لقد كانت قصيدتك رائعة»! أما الإعجاب والتصفيق الهادر فقد
كان للبردوني وقصيدته! ومن قصيدة إبراهيم قوله يعني الشاعرين شوقي وحافظ:

حرسا الروض وهو ريان حالم واعدات زهوره والبراعم
حرساه؛ جذوره تضرب الأرض وأغصانه اللدان النواعم
نبض قلبيهما حنين لماضٍ مشرق؛ وانتظار خير قادم
سألاني: هل أخلف الروض أم كان له موسمٌ كأغلى المواسم!
لم أجب؛ بل صمت حين تولى الرد من مقلتي دمع ساجم
إلى آخرها.

مسك الختام:

أما آخر ما سأختم به حديثي عن الشاعر إبراهيم الحضرائي فقصيدته

«درويش» التي أنشدتها في مهرجان الشعر بتونس سنة ١٩٧٣ م / ١٣٩٢ هـ وهي
من الشعر الذي لا يعلّق عليه، بل يُتلى في إعجاب وخشوع:

لو دوى المصنع لم يهدر فمي بالكلمات
أو جرى النهر.. لما أجريت فيض العبرات
ولما مزّقت بالأظفار أحشائي ولا باللكمات !
دونك الآهات فاسمعيها؛ وخذ منها، وهات

بين جنبيّ عنودٍ مشخن الحسّ طعنه
الجوى اللافح والآهات والكشر أنينه
هدده بالروى تغمض على الشجو جفونه
كل قولٍ جهوريّ الصوت .. يسليه ؛ يعينه
ومنها:

مرّ يومي معرضاً عنيّ بتيه وبكبر
وعن الأمس ؛ أنا ثرت على الأمس بشعري
من أنا ؟ أين أنا ؟ أين مكاني ؟ لست أدري !
أنا درويشك يا ربّ ، وما غيرك ذخري
وكفاني ؛ أنني أصبحتُ لا أجهل قدري ؛

ويحه .. لم يستجب رأسي ؛ ولم تسعف يدي
أتراه الداء ؟ - يا للهول - داء الأبد !
لا تقولوا : قد سرت رعشته في ولدي
ودعوني أزرع الآمال في دنيا الغد

لا.. لا.. لا يا إبراهيم .. إنه ليس الداء .. إنه بدء الشفاء، وستموت
الرعشة .. ولن تسري .. فانهض .. وازرع ما شئت من الآمال في دنيا اليوم
والغد .. وستجنيها ويجنيها الكون خيراً وسلاماً وبركة واطمئناناً . إن شاء الله .

ترجمة هلال ناجي :

ولقد ترجم شاعرنا الأستاذ الأديب الشاعر هلال ناجي للحضرائي في كتابه «شعراء اليمن المعاصرون» ونقل نماذج من أشعاره وما قاله فيه : «إن مسحة الحزن التي رانت على شعر الحضرائي العاطفي قد صبغت شعره الكفاحي ببعض أطيافها على اختلاف في الأسباب؛ فهي في الأولى بسبب من جفاء المحبوبة ، وهي في الثانية بسبب من المآسي التي أناخت ببحرانها على اليمن طوال ربع قرن وزيادة، وإن هذا الأسى المعتم الذي ضرب بجذوره في أعماق شعر الحضرائي قد ولد في بعض الفترات الحالكة يأساً عميقاً طفح به قلب الشاعر كما تطفح الكأس إذ تمتلئ، وكما تطفئ الأنهر إذ تفيض، فحياته قطعة من سقر، وهو يتمنى الموت إن كان غده مشبهاً يومه وأمسه» [ص : ٦٣] واستشهد بالأبيات التي مطلعها :
ففي أمة منكوبة كان مولدي إليها نفى الله الشقا والتوانيا

انظرها في الديوان .

الحضرائي الرومانسي :

أما الدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح فقد تحدث عن الحضرائي في فصل «التطور الفني من خلال تناول الرومانسي» من كتابه «الشعر المعاصر في اليمن» فقال :

«وإذا كانت الرومانسية قد جعلت أحمد الشامي يشعل الدنيا بالأنات والزفرات، ويغرقها بمآسيه - وهو في حالة حب - وجعلت أخاه عبد الوهاب يستنجد بالموت ويرغب في هلاك البشر ومنع التناسل، فانها - أي الرومانسية - قد حملت زميلهما إبراهيم الحضرائي - وهو في حالة حب أيضاً - حملته بعيداً عن الناس إلى دنيا من الحرمان، بين عالم من الأشجان يعيش فيها وحده مع الحب والرومانسية :

يا من أذاب فؤادي في هواه وما منيت إلا بإبعاد وحرمان
حتى ذوى زهر أمالي، وأعقب لي بين الجوانح آلامي وأحزاني

أهذه هي أيام الصبا وإلى رجوعها يتنزى العاجز الفاني ؟
ماذا؟ سوى أنة حرى يكابدها قلب يذوب وجفن دمه قان
هذا هو الحب لا ينفك يخلق لي «عولماً» ذات أشكال وألوان
دنيا وعالم أشجان أعيش به وحدي وللناس حولي عالم ثاني

وبالرغم من أن الحضرائي الشاعر يؤكد هنا - انه يعيش في عالمه الرومانسي وحيداً إلا في حرمانه وأشجانه - فإنه كان في واقع الحياة يعيش مع زميله أحمد الشامي حياتهما المتشابهة المتماثلة، فهما - بحق - شاعران متشابهان في الشعر، وفي مدى التأثير بالجلديد وفي بعض ظروف حياتهما أيضاً .

وفي القصيدة التالية اجتمع هذان الشاعران في خلوة رومانسية للبحث عن صديق لهما غائب، ولا أتردد في القول بأن هذه القصيدة الثنائية قد شارك في نظمها شاعر ثالث غير منظور هو الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي، فقد كان الشامي في تلك الفترة شديد الافتتان بشعره، أما الحضرائي فقد كان - وما زال للآن - واقعا تحت تأثيره، وما زال قاموسه الشعري يشبه - إلى حد ما - القاموس الشعري لذلك الشاعر الرومانسي الكبير.

والقصيدة الثنائية أو الثلاثية بعنوان « زنبقة في فلاة » وأسارع إلى وضع خط تحت العنوان تأكيداً على رومانسيته، ثم امضي مع القصيدة لا للبحث عن الصديق الضائع في الفلاة بل عن الشاعرين نفسيهما، أين يكون الحضرائي؟ وأين يكون الشامي؟ :

تلفت الشعر إلى الشاعر يسأل عنه أين ولى وطار
وأين رب النغم الساحر أين هزاري يا ترى أين طار؟

وأى روض فاتن زاهر في ساحه بات يناجي مناه
يحمل عبء القدر القاهر ظمآن يشكو لليالي صداه

أظنه اليوم يغني وحيد يشدو فيرتد إليه غناه
لا سامع من حوله يستعيد كأنه زنبقة في فلاه

يبست في الليل يناجي النجوم فينصت الليل ويصغي القمر
وتارة يطغى عليه الوجوم فيفرغ الكأس ويلقي الوتر

عد أيها الشاعر عد إننا في جنة الشعر وازهى رباه
نعبث بالدهر ونزجي المنى ما أعجب الشعر وأحلى مناه
حقاً ما أعجب الشعر!! وما أعجب الشعراء - والرومانسيين منهم خاصة -
إنهم يقيمون قصوراً من الرمال، ويخلقون - كما قال الحضرائي - في عوالم ذات
أشكال وألوان، وهي - برغم جمالها الشعري - عوالم من صنع الخيال لا علاقة لها
في أحيان كثيرة بعوالم الناس وواقعهم .

وقد قال الدكتور المقالح إن ابراهيم ولد في حضران عام ١٩١٨ م ولعلّه
أقرب إلى الواقع من قولي إنه ولد عام ١٩٢١ م / ١٣٣٩ هـ؛ فيكون في عامنا هذا
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م قد جاوز السبعين أطل الله عمره .

وقد وهم الدكتور حين قال إننا بعثنا بهذه القصيدة إلى الشاعر الزبيري بعد
فراغه إلى عدن؛ وإنما ذهب إلى «ماوية» لتحصيل وجباية الزكاة من الفلاحين بأمر
الإمام أحمد ولي العهد حينذاك .

[انظر الشعر المعاصر في اليمن ص ١١٢ - ١١٣ وكتابنا «مع الشعر المعاصر
في اليمن» ص: ١٥٥] .

مع البردوني في رحلته :

أمّا الشاعر عبد الله البردوني فقد تحدّث في رحلته في الشعر اليمني عن

الحضرائي فقال :

ابراهيم الحضرائي بدأ شعره في ذمار بالهجاء ، وكان لسان أهل السنة يناضل
الشيعه وهو يمثل الصراع بين المذهبين :

أرعاد بلا غيث نراه ضجيج فارغ سموه صوله
سحاب خلب لا غيث فيه كعلم يدعيه (حمود دوله)

وكان هذا الشعر محدود الانتشار لا يتجاوز الأصدقاء من رجال السنة ،
وقال في صالح الجمالي وهو من رؤساء الشيعة بدمار ومن رواة الشعر الشيعي :

عجباً لمن سموك يا شيخ الفساد الجم (صالح)
غلطوا وإلا أنت في أبواب أهل العلم صالح

ولما انتقل الحضرائي إلى تعز أصبح شاعراً مادحاً ومتفكها وقد اشتهر له في
ذلك الحين قوله في ضحية العيد :

يا ليت لي كبشاً أضحي به أركبه إن جئت في الآخرة
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على طائره

وقد أفضت به السخرية والهجائية إلى النضال الوطني حيث يكرم الحق
ويشرف العدا :

أيها القائم بالأمر الذي يرضى الكتابا
فاز من شب على ما ينفع الشعب وشابا
وتحدى في طريق المجد أرزاء صعبا

ثم مدح ورثى في أصالة وتقليد قليل . كقوله في يحيى الأرياني :

هو نجم هوى وركن تحطم وبناء من المعالي تهدم

وعندما نزل ضيفاً على سجن حجة كان هو الشاعر الوحيد الذي لم تذهله
الصدمة عن الشعر ، فرثى الأحرار بقصيدة ميمية :

حتام يا وطني أراك تضام وعلى أديمك تعبد الأصنام

واختص (عبد الله محمد الوزير) بمهمة من نفس الوزن والقافية :
عليك وإلا فالبكاء حرام وفيك وإلا فالرثاء أثم
وقد نهت هاتان القصيدتان نوائم الأقلام فصدق على شعراء حجة قول
الجاحظ في الهزار :

(إن غناه يعذب عندما يكون في القفص) .

فقد تحول سجن حجة إلى مدرسة شعر، تبارت فيها القرائح حتى أدت إلى
اختلاف الرأي، وذهاب المودة أحياناً، مع أن اختلاف الرأي لا يذهب للود قضية
كما قال شوقي وهو موضع إعجابهم جميعاً .

إلا أن هذا الاختلاف والمكاره ، لم يمنع من الاستمرار في الشعر كل على
طريقته ، فقد استمر (ابراهيم الحضرائي) وكان بعيداً عن الخلافات في الشعر
بمختلف بواعثه، فهو في السجن يغني غناء الطليق :

وحبيب منيتي في يده ليته ينفق مما في يديه
كلما أملت من دنيا الهوى فرحة أومات الدنيا إليه

وقد حدث عن نفسه أنه تأثر بإبراهيم ناجي أشد تأثر وبالأخص في نجواه :

وحبيب كان دنيا أمني حبه المحراب والكعبة بيته
إن سقي يوماً بكأس ظامئاً فأنا من كأس عمري قد سقيته
أو مشى يوماً على ورد له فطريقي كان شوكاً ومشيته

فقد كان الحضرائي كثير التردد لهذه الأبيات لابراهيم ناجي ، كما كان
سجناء حجة يكثر من تردد شعر الحضرائي ويتمثلون به إلى حد أن بيتين من
شعره كانا يهونان على الأحرار ملاقة السياف ، فقد كان كل حر يلاقي مصرعه
بقول الحضرائي :

كم تعذبت في سبيل بلادي وتعرضت للمنون مرارا
وأنا اليوم في سبيل بلادي أبذل الروح راضياً مختاراً

فقد شجع الحضرائي على الاستشهاد الكثير من نفثاته ولعل أجود شعره في حجة :

حنانيك يا سيف المنية فارجع ويا ظلة الموت الزوام تقشعي
ووالله ما خفت المنايا وهذه طلائعها مني بمرأى ومسمع
ولكن حقاً في فؤادي لأمتي أخاف إذا ما مت من موته معي

فهذا الشعر العميق المتدفق يدل على شاعر تكاملت له وسائل الفن وخصائص الفكر لولا القسم في أول البيت الثاني، فمن بيت إلى بيت تتجلى له نظريات فلسفية تفوق بها على مدرسته، وعلى المدارس التي سبقتها، لأن تأملاته كانت تواكب أخيلته فتمتزج النظريات بحلاوة الفن وينتج عن هذا شعر تعليمي فني يثير بالاليقاع ويفيد بالأفكار، وله مقطوعات فكرية متكاملة الفن بعيدة النظر من أمثال قوله :

هم الناس لا يحفظون الجميل ولا يشكرون لمسد يدا
فكن في قلوبهم رهبة لكي ما تكون لهم سيّدا
ولا تبني أمراً على حبهم فيذهب جهدك فيهم سدى
هم الناس ما عبدوا في القديم عظيم النوال كثير الجدى
ولكنهم عبدوا المفزعات وباتوا لرهبتها سجدا

مهما كانت هذه النظريات قديمة تعميمية وقاسية فقد أجاد ابراهيم الحضرائي صياغتها ومنطقيتها وليس من جديد الأدب في الموضوع ، وإنما الجديد في الصياغة ، فقد بليت غراميات (مجنون ليلي) في رماد العصور ، وأضاءت من جديد تحت أنامل (شوقي) ، وقد بليت ليالي (شهرزاد) في ألف ليلة وليلة وأضاءت تحت قلم (توفيق الحكيم) (وطه حسين) .

وقد سبق (المتنبي) إلى نظرية (الحضرائي) فقال :
ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رحمه غير راحم

وقال :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر عهدهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا
وقد جدد الحضرائي النظرية . وقدم الدليل عليها، بعبادتهم الأشباح
والبروق والصخور والهياكل بينما (المتنبي) يكتفي باللمحة الدالة، فمهما سبق
الحضرائي إلى هذه النظرية فقد جدد بلاها، وأقام الدليل، فالحضرائي شاعر من
كل الوجوه أصالة وفكرة وتعبيراً، والدليل على أصالته أنه لم يتخل عن الشعر على
حين سكت الكثير من زملائه، فعندما أطلق من حجة تابع سيره في قصائد قصيرة
ومقطوعات، إلا أنه على عمق أصالته محدود الشوط، وكل فترة من فترات عمره
أنبت شعراً جديداً . ققبل العام ١٩٤٨ م كان وطنياً ومادحاً وساخراً ، وفي حجة
كان باكياً ومبكياً ومتفلسفاً وشاعراً ، وبعد حجة ركذ قليلاً لتورق شاعريته من
جديد ، بتأثير ظروف الزمان والمكان ، فعندما نزل القاهرة أثر فيه الزمان والمكان
فقال شعراً لا يشبه شعره الأول إلا في النفس والمعجم اللغوي :

يا ابنة النيل وأم العرب أنا في ساحك لم اغترب
هذه الروعة مهما عظمت لست عنها يبعد النسب
هي مني وأنا منها أنا فكلانا عربي عربي
وعندما نزل (روما) مد تجربة (المتنبي) في (شعب بوان) فهو فيها غريب
الوجه واليد واللسان كفيف السمع وإن كان طليق البصر فلننصت إليه :
تتساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب وذلك الشبح النحيف
يمشي فتمشي حول هيكله من الماضي طيوف
الذعر في نظراته والرعب والقلق المخيف
يا مهبط الرومان هذا ما جنى الزمن العجيف
من عهد (حمير) لا يزال يرونا أو عهد (خرفو)
والجرح جرح المستبد له باكدنا نزيف
أمشي بروما حائر (م) الخطوات لي سمع كفيف

يتحسس الكلمات كالأعمى بمهمة يطوف
الدار تنكرني ولكني بساكنها شغوف
اشدو فينكر جوها شدوي وتلفظه السقوف

لقد كدنا نهي شوطنا مع الحضرائي ولكن الحضرائي لم ينه شوطه ، ولكن على وجه البحث سؤال يلهث خلف جواب ، إلى أي مدرسة من المدارس اليمنية انتمى الحضرائي ؟ الحقيقة أنه ليس وترأ من قيثارة ، وإنما هو قيثارة مستقلة مشدودة الأوتار ، إلا أنه يجاري الزيري في الموضوعات الوطنية ويعالج فنوناً أخرى ويفترق عنه في عدة سمات وإن كان الزيري أغزر إنتاجاً وأطول نفساً . وطول النفس وغزارة الإنتاج لا يعدمان التجليات والخواطر اللامعة ، إلا أن الحضرائي يستوفي غرضه بمهارة في قصيدة قصيرة أو مقطوعة ، وي طرح الفكرة في سهولة ، فيمكن أن نقول إن شعر الزيري أكثر وأحس ، وشعر الحضرائي أهدأ وأقوى دلالة ، فهو أقرب إلى الهمس بالأسرار بينما شعر الزيري أقرب إلى الجهارة الخطابية والنصاعة البيانية . وإذا فمّن يشبه الحضرائي من مدرسة (حجة)؟ الحقيقة أن شعراء حجة لا يشبهون الحضرائي ولا هو يشبههم ولا هو أشعر منهم ، ولا هم أشعر منه لأنه قيثارة لا وتر من قيثارة ، وذلك لما تفرد به شعره من الروائح الخاصة ، والطعم الخاص ، والهمس الدال على الأسرار ، فهو كما أشرت شاعر متكامل الوجوه ، متفرد بمزايا جعلت من شعره ديواناً يدل عليه حتى لو لم يعنون باسمه .

فلقد لمسنا في شعر الحضرائي الأصالة والمميزات . ولكن لا ينبغي أن تذهلنا حلاوة العنب عن الحصرم . ذلك لأن حلاوة العنب تزيد من كراهية الحصرم ، والشعر الجميل أدعى إلى النقد كما أن الوجه الجميل يبعث الملاحظات على ما فيه من غش ، ومن أحسن قصائد (ابراهيم الحضرائي) قصيدة (يمني في شوارع روما) التي سبق إثباتها قبل أسطر فلقد تأثر ابراهيم فيها بطريقة الأخطل الصغير في رثاء الزهاوي وغرته في الصحراء فلننصت إلى الأخطل الصغير أولاً :

يتساءلون من الفتى العربي ، في الزي الغريب
جفلت به الصحراء والتفت الكثيب إلى الكثيب

وتطلعت زمر الجنادب من فونيهات الثقوب
يتساءلون وقد رأوا قيس الملوح في شحوي
والتمتمات على الشفاه مضرجات بالنسيب
تندى لها قبل الهوى ويذوب منها كل طيب

فلقد هضم ابراهيم هذه القصيدة الأخطلية ونتيجة لهذا الهضم ظهر التأثير
وكأنه خواطره الخاصة، فلننتقل من صحراء الأخطل إلى شوارع روما مع ابراهيم
الحضرائي - مرة ثانية تحت الملاحظات الناقدة:

تتساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب وذلك الشبح النحيف
يمشي فتمشي حول هيكله من الماضي طيوف

لماذا الهيكل هنا للشبح النحيف؟ والهيكل صورة الفخامة في البناء
والأشخاص والأشجار، أما كانت تغني عن الهيكل القائمة، بل هي أوقع وأصح
لغة :

(يمشي فتمشي حول قامته من الماضي طيوف)

أما الهيكل فلا ينسجم كرمز للنحول و ابراهيم خير من يذكر قول
(البحثري) في ضخامة فرسه وقوة تركيبه :

كاهيكل المبني إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل

ولعل ابراهيم كغيره أخذ كلمة الهيكل من لغة التشريح الطبي أما البيت
الرابع فلا غبار عليه لكن الغبار الكثيف على البيت الخامس، لماذا مهبط الرومان؟
ومن أين هبطوا؟ أما كان أجمل يا موطن الرومان أو منبت الرومان؟

والبيتان السادس والسابع نظرية وراثية مقررة في العلم، وجيلة في هذا
الإيقاع الشعري، أما البيت الثامن فلمعة عبقرية زادت إشراقه كلمة السمع
الكفيف :

أمشي بروما حائر الخطوات لي سمع كيف

فهي أروع من غريب الوجه واليد واللسان عند (المتنبي). أما البيت التاسع على ما فيه من صور، فهو توضيح غير ضروري فقد كانت كلمة السمع الكفيف إيماءة مشرقة إلى حيرة الغريب بين من لا يفهمهم ولا يفهمونه، وهذه الإيماءة غنية الاحتمال ولو لم يكن البيت التاسع لترك للقارئ مجال التصور والتخيل. لكن الإيضاح المتناهي حرم القارئ متعة التصور والرنو إلى إضاءة الرمز. فبعد أن عرفنا السمع الكفيف لا قيمة للبيت الذي تلاه:

يتحسس الكلمات كالأعمى بمهمة يطوف

لأن تشبيه الكفيف بالأعمى كتشبيه الماء بالماء والغراب بالغراب. ولأن تشبيه الشيء بنفسه أو مثله يفقد التشبيه الأبعاد الشعرية.
أما قوله:

الدار تنكرني ولكني بساكنها شغوف

فمن أين جاء هذا الشغف، أمن وحشة الغربة؟ أم من عجمة اللسان؟؟ ولكن الذنب ذنب المجنون حين أحب الدار لحب سكان الديار، لكن لحبه مبرر، أما شغف ابراهيم.. والشغف نهاية الحب لغة - فلم تنشأ أسبابه عن الحب ولكن القافية ذات إغراء.

أما قوله:

أشدو فينكر جوها شدوي وتلفظه السقوف

فتصور جميل لمن يرى حوله غربة المكان والناس. هذه قصيدة (يميني) في شوارع (روما) وضعتها كلها تحت الملاحظة النقدية، لأن عمقها وجمالها بعثا على الملاحظة وهذه الملاحظة تجرنا إلى ملاحظة على قصيدة أخرى تخلى فيها (ابراهيم) عن أسلوبه المميز مؤقتاً، وهث خلف (نزار) و(كامل الشناوي)، أليست هذه النغمة نشازاً في إيقاع ابراهيم المألوف؟

اللّٰه قد صاغك من طينة كسائر الناس ولا أكثر
فحدثيني يا منى خاطري من خلق الحسن الذي يبهر
من جعل الأحاظ فتاكه والثغر من صيره يسكر
من خلق الفتنة غيري أنا أنا أنا خالقك الأكبر

برغم هذه الأنانة والنيصرة لم يستطع ابراهيم اللحاق (بنزار). فأبياته
الأربعة لا تساوي هذا البيت (لنزار) :

أنا أنا بانفعالاتي وأخيلتي تراب نهديك قد حولته ذهباً

«لقد كان الحديث عن الحضرائي بداية لاثقة في دراسة مدرسة حجة لتفرد
بعده مزايا وبعده عيوب، لكنها عيوب الأصالة وليست عيوب العجز ، لأن البحث
عن الاجادة يقتضي توضيح، وأشرف ما في التوضيحات هو سمو الهدف». [رحلة
في الشعر اليميني ص: ٦٩ - ٧٧].

ذلك هو كل ما قاله الشاعر عبد الله البردوني عن شاعرنا إبراهيم الحضرائي
وقد أحسن كثيراً ولكنّه - كعادته - قد دسّ السمّ في العسل كما يقولون، وقد
ناقشته عندما نقدت «رحلته الشعرية» في كتابي «من الأدب اليميني» ومن ذلك قولي
في ص ٢٢٧ :

«وقد آن لي أن أقف مع الرحالة وقفةً قد لا تكون قصيرة في صفحة ٧٤ وهو
يتحدث فيها عن ابراهيم الحضرائي أيضاً، وإلى أي مدرسة من مدارسه المزعومة
ينتمي، يقول:

«هو قيثارة مستقلة مشدودة الأوتار، إلا أنه يجاري «الزبيري» في
الموضوعات الوطنية، ويعالج فناً أخرى، ويفترق معه في عدة سمات، وإن كان
الزبيري أغزر انتاجاً وأطول نفساً، وطول النفس وغزارة الإنتاج لا يعدمان
التجليات والخواطر اللامعة، إلا أن الحضرائي يستوفي غرضه بمهارة في قصيدة
قصيرة، أو في أي مقطوعة، وي طرح الفكرة في سهولة، فيمكن أن نقول إن شعر
الزبيري أكثر وأحس، وشعر الحضرائي أهدأ وأقوى دلالة، وأقرب إلى الهمس

بالأسرار، بينما شعر الزبيري أقرب إلى الجهارة الخطابية، والنصاعة البيانية»
الخ... .

ولن أناقش «الرحالة» عن مدارسه المبتدعة، ولا عن الأوتار والقيثارة، ولا
ضيرحين يقارن بين ابراهيم الحضرائي ومحمد محمود الزبيري، أو يفاضل بينهما،
فهما علمان من فحول طبقة واحدة، بين شعراء اليمن المحدثين، ولن أعترض كما
سبق حين قرن الزبيري بجراده ونصر والشحاري، وتعقيبي أولاً: أن الحضرائي قد
يجاري الزبيري في الإبداع والجودة في كل المواضيع، وأنا معه في ذلك، وأما
الموضوعات الوطنية فالزبيري لا يجارى، وهو بحق الشاعر اليمني الوحيد الذي
يستحق لقب «شاعر الوطنية».

وثانياً: إنني أشتم من قوله «شعر الحضرائي أهدأ وأقوى دلالة» رائحة
التحامل على «المرحوم»، وأنه لم يقصد مدح الحضرائي، - وشعره بحق هادىء
قوي فوق تصوّر البردوني - وإنما قصد الخط من شعر الزبيري، وقد يكون حيناً
هادراً كالبحر الزخار، ولكنه قويّ متين في كل حالاته، وقد سبق أن أوضحت
هذا.

ثالثاً: يقول «إن الزبيري أطول نفساً من الحضرائي»، وهذا لا أساس له من
الصحة، وأظنه لم يطلع على مطولات ابراهيم الشاعر الذي يستوفي غرضه بمهارة
أحياناً «كما يفعل الزبيري في قصيدة قصيرة، أو مقطوعة»، ولكنه أحياناً قد يمد
نفسه حتى يجاري الزبيري ويحلي في ميدانه الفسيح بمد من الإلهام الفني». وقلت
في ص: ٢٢٨.

«ومن مطولاته قصيدة «عواطف» التي أنشدها في شهر ذي الحجة سنة
١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م): [انظرها في الديوان رقم: ٩٥] ومطلعها:

قدسية الحب منها صغت أوزاني وحولها حمت كي أمتّاح الحاني
والشعر لن يخلب الألباب رونقه إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني

وقلت في ص ٢٢٩ :

ومن مطولاته الجيدة قصيدته التي أنشدتها في تعز أيضاً يوم عيد الفطر سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) [راجع الديوان رقم : ٩٦] ومطلعها:

شاعرٌ بات سادراً في مكانه مصغياً لاستماع همس جنانه
ومنها البيت البديع:

إنما الكون مصحف أنت يا شا عر قاري الجلال من تبيانه
ومنها:

هتف الفيلسوف ينبغي نجاةً من ضجيج الزمان ، من غليانه
وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره .. ببيانه
فتلاشى أنينه في خضم صاخب كالجحيم في طغيانه

وطويلته في عيد الفطر سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م): [راجع الديوان

رقم : ٩٤]

ما باله في حنايا الصدر نشوان في كل يوم له شجؤ وألحان
قلب سقته الليلي خمرة فصحا من حوله كل قلب وهو سكران
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرة في باله ، إنه بالشعر ملآن

ومن مطولاته في ٦ شوال سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م): [راجع الديوان

رقم : ٩٧]

لتكن كالماء للصادي شرابا أو تكن إن شاءت الدنيا سرابا

ثم قلت ص ٢٢٩ - ٢٣٠ :

ولن أطيل فأخرج عن الموضوع ، ولكن هل يدري «الرحالة» أن ابراهيم الحضرائي هو ابن الشاعر العالم الراوية أحمد بن محمد الحضرائي أطال الله عمره ، صاحب أطول نفس بين شعراء القرن الرابع عشر الهجري ، فقد يظل ينظم القصيدة سنوات حتى تبلغ أبياتها المئات ، دون ملل ولا كلل وفي نسق عربي مبين ، والبردوني قد اعترف بوراثته الشعر في صفحة ١٠٥ عند تعرضه للحديث عن الشاعر العالم الراوية عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي .

ومناسبة الكلام عن ابراهيم الحضرائي فإن البيت الذي رواه الرحالة في
صفحة ٧٠:

هو نجسم هوى وركن تحطم وبناء من المعالي تهدم
ليس في رثاء القاضي يحيى الأرياني، بل قاله ابراهيم يرثي القاضي عبد الله
العزب المتوفى في تعز ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) وقد رواه حسب
مزاجه أما الشاعر فقد قال:

هو نجم هوى، ونصل تحطم، وبناء من الفخار تهدم
ويحكم أيها اليانون هذا كارث في البلاد يُبكي له دم
وكنت قد قلت في فصل «اختلافات واختراقات» ص: ٢٢٣ ما يلي:

«وهناك ما لا يصح أن نسميه اختلاقاً أو اختراقاً، وقد يجوز فكاهة ومن
باب عَجْن اللغة أن نسميه «اختفاقاً» إما من الاخفاق لغوياً، أو من «الخَفَقَنَّة»
وهي الخَبَال عرفاً، مثل روايته للبيتين المشهورين لابراهيم الحضرائي صفحة ٧٠:

يا ليت لي كبشٌ أضحي به أركبه إن جئت في الآخرة
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على طائره
فلم يكن الشعر كما روى، والذي قاله ابراهيم بعنوان «مطيتي على
السرط»: :

ليس معي كبشٌ أضحي به أركبه إن جئت في المحشر
لا تعجبوا مني ولا تسخروا فربما جئت على «موتر»
و«الموتر» بلغة اليمنيين الدارجة «السيارة».

وكنت حينذاك ألصق الناس به، وأول من سمع البيتين منه، فقلت
ضاحكاً معه مزدرياً بتقاليد وأفكار العهد كما كان ابراهيم يفعل: هل لي أن أُغير
شعرك؟ قال: وكيف؟ قلت: البيت الأول «إن جئت في الآخرة» وقافية البيت
الثاني «على طائره» قال ضاحكاً: وإن شئت على «باخرة» أو «على قاطرة»...

وأعجب من هذا، أن ينتقل البردوني بعد روايته لهذين البيتين الساخرين
انتقاله لم أفهمها فيقول تعليقاً «وقد أفضت به - الحضرائي - السخرية ، والهجائية ،
إلى النضال الوطني ، حيث يكرم الحق ويشرّف العدا» هكذا ص ٧٠ :
أيها القائم بالأمر الذي يرضى الكتابا
فاز من شب على ما ينفع الشعب وشابا
وتحدّى في طريق المجد أرزاء صعبا
وأنا أعلم - مثل غيري - أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة نشرتها مجلة
«الحكمة» البيانية في عددها الثالث عشر شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ
(١٩٣٩ م) وهي موجهة أصلاً إلى رئيس تحريرها السيد أحمد عبد الوهاب الوريث
ومنها:

دم لليل الجهل في الأمة بدرأ لن يغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا
سوف تجني من ثمار المجد ما لذ وطابا
وترى من عقول القوم ما أضحى يبابا

إلى أن يقول:

شمروا يا أمة الضاد شيوخا وشبابا
واحذروا ما يكسب الأعراض شتاً وسبابا
وادخلوا للنسر وكرا، ولجوا لليث غابا
أمم الأرض غدت فيها ليوثاً وذئابا
زاحوا الدعموص في الأرض وفي الجو العقابا
وتراهم من خيوط الشمس قد صاغوا حرابا

وهي من أوائل شعر ابراهيم، ولم يكن قد جاوز العشرين عاماً، حتى إن
الناشر قال «للأديب الشاب اليميني ابراهيم الحضرائي».. وإذاً فماذا قصد
البردوني بالسخرية والهجائية و«تكريم الحق»، وتشريف العدا؟ وكيف يرجع
القهقري خمس سنوات من تاريخ إنشاء البيتين «وليس معي كبش أضحي به» سنة

١٣٦٣ هـ إلى (١٣٥٨ هـ) حين نشرت «الحكمة» قصيدة «أيها القائم بالامر»، زاعماً أنها من قصائد ابراهيم النضالية، بعد أن هاجر من «ذمار» إلى «تعز» حيث التقينا؟

ومتى عُرف ابراهيم بالحقْد والعداء وما عرفناه إلا «خليلاً» مخلصاً، طبعه أرق من نسيمات الزهر، وإحساسه ألطف من همسات السحر. !!

الزبيدي الراوية :

وبقي أن أضيف؛ أن قول الشاعر البردوني إن ابراهيم الحضرائي «كان لسان أهل السنة يناضل الشيعة وهو يمثل الصراع بين المذهبين» في ذمار وأنه كان يهجو علماء وأدباء الشيعة ليس معقولاً ولا مقبولاً بل ولا منقولاً، وليس لأنني لم أسمع هذه الدعوى من ابراهيم أو من غيره، ولا لأن ابراهيم الحضرائي من أسرة «زيدية» عريقة، وأباه وجده وأخاه محمداً من شعراء «الزيدية» المشهورين بمحبة «أهل البيت»، ولكن لذلك ولأنني أعرف ابراهيم الحضرائي الذي يحفظ من القصائد في «مقاتل الطالبين» ما لا يحفظه غيره من شعراء وأدباء اليمن، وعلى لسانه تدور العشرات من قصائد «الشريف الرضي» و«مهييار الديلمي» و«الحسن الهبل» وغيرهم من شعراء الشيعة، ولقد كان يسلينا بها ونحن في اعماق سجن «نافع» فنجد فيها من العزاء ما يخفف عنا العذاب.

وقد أثبت ما رواه البردوني من الهجو في السيد العالم الجليل «حمود الدولة»، والعالم الشاعر الراوية صالح الجمالي شيخ واستاذ والد ابراهيم العالم الشاعر الراوية أحمد الحضرائي رغم شكّي في نسبتها إلى ابراهيم لأنني أعرف أن الأستاذ عبد الله البردوني قد ينسب إلى الناس ما لا يقولونه كما أثبت ذلك في كتابي «من الأدب اليمني».

ولا بد أن أقول ما سبق أن قاله أحد أدباء مصر عن شاعر النيل حافظ إبراهيم: إن من لم يعرف إبراهيم الحضرائي الحافظ الراوية المحدث النديم لا يعرفه حق المعرفة.

الْقُطُوفُ لِلدَّوَانِي

(١)

فاز من شبّ على ما ينفع الشعب

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الحكمة اليمانية
في عددها الثالث عشر ذي القعدة/١٣٥٨ هـ
الموافق/ديسمبر/١٩٣٩ م ما يلي :

- للأديب الشاب اليميني ابراهيم بن أحمد الحضرائي^(١) :

أيها القوائم بالأمر الذي يرضى الكتابا
دم لليل الجهل في الأمة بدمراً لن يغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا...
سوف تجني من ثمار الجدّ ما لَدَّ وطابا
وتربّي من عقول القوم ما أضحى يبابا
إنما الماجد من لم يأل للمجد طلابا
ويرى ما خالف الحق - وإن جلّ - سرايا
فهو لا يخشى إذا ما قال بالحقّ عقابا
إنه لا يمتطي المجد فتى ذلّ وهابا

(١) لعلّ الشاعر وجّه هذه القصيدة إلى رئيس تحرير مجلة «الحكمة اليمانية» السيد العالم الأديب أحمد بن عبد الوهاب الوريث ولعلّه قد حذف منها أبياتاً، فثمة فجوات في السرد وهي فيما أعلم أقدم قصائد هذه «القطوف» تاريخاً، ولا شك أن الشاعر قد أنشأ قبلها عدة قصائد ونظم الكثير من شعره الذي لا يزال مفقوداً. - جامع الديوان أحمد محمد الشامي .

قل ولا تخش؛ فما فاز امرؤ داری وحابی

فاز من شبَّ على ما ينفع الشعب وشابا
وتلقَى في سبيل المجد أرزاء صعبا
كل حرُّ قلبه ممّا جناه الدهر ذابا
كيف لا يؤلم دهر خاس - واللّه - وعابا
جعل السيد عبداً جعل الرأس ذنباً
وشباب الدين لم يخشوا على الدين ذهاباً
خاس من لم يخدم الأمة والدين وخاباً
لا تظن المجد أموالاً، وخيلاً، وركاباً
فوربّ العرش من سیر في الأفق السحاباً
إنها سوف تُرى في أسرع الوقت سراباً
ويَرى صاحبها من بعدها العجب العجائباً
عندما ينظر فيها وجه العمر اكتساباً
ويرى راحته صفراً من الخير يباباً...
يتمنى عندها لو أنه كان تراباً

كل شخص غمط الحقّ جدير أن يُصاباً
أوليس اللّه قد صبَّ على العاتي عذاباً
وفريق مُسخوا لما عتوا عنه كلاباً...
بعدما أن لبسوا من حلل الفخر ثياباً؛
أبعد اللّه امرءاً عن منهج الحق تغاي

شمروا يا أمة الضاد شيوخا وشباباً
واحذروا ما يكسب الأعراض شتاً وسباباً
«وادخلوا للنسر وكرأ ولجوا لليت غاباً»

أمم الأرض غدت فيها ليوثاً وذئاباً
زاحموا الدعموص في الأرض وفي الجو العقابا
وتراهم من خيوط الشمس قد صاغوا حرابا
ذمار / ١٣٥٨ هـ

(٢)
راحة الموت . .

وقال:

يا أخي لا تبك أو تضحك من مرّ شكاتي
لا تلمني واجعل الرحمة تخفي عراقي
كن نسيماً لي إذا ما هب من غيرك عاتي
وإذا عدّد أخطائي فعدّد حسناتي
آه ما أروع مأساتي، وما أشقى حياتي
لا أراني أجد الراحة إلّا في مماتي
فابن لي رمساً ورح نفسي فيه ورفاتي

تعز / ١٣٦١ هـ

(٣)
وهم الشقاء

وله:

ربما كان ما أحسّ من الآلام وهماً أوحى به تفكيري
فلعلي أعيش في كنف النعماء لكن أخطأت في تقدير
ولقد مرّ بي زمان توهمت بأنّي في ظل عيشٍ نضيرٍ
ناعم البال رفرفت حولي الفرحة، والبشرىات حول سريري

تعز / ١٣٦٢ هـ

(٤)

الروحان تتعانقان

كتب ابراهيم:

«إلى الشاعر الموهوب السيد عبد الوهاب بن
محمد الشامي» .

إيه «عبد الوهاب» هز شعوري لحنك العذب هزة النشوان
وسما بي إلى فضاء من الحب، من الشعر طافح بالمعاني
فنسيت الحياة حولي ولا تعجب عزيزي فإنه أنساني
وأنا الشاعر الذي إن نسيت الناس حولي : فإن ذلك شاني
كلمات شجية هي كالأوتار . . . عننية على وجداني
فتصفحتها وخيل لي أنا . . . على البعد جد مقتربان
وكأنا رغم الفراق اجتمعنا وكأن الروحين تعتنقان

إيه «عبد الوهاب» هذا هو الشعر سباني جماله وشجاني
فاسم فيه ؛ ولا تقف عند مخلوق مهين، ولا تقف في مكان
في رحاب الأملاك فالتقي عصي السير مجدداً في ساحة الرحمان
وانترعه عن قلبك الغض لا عن صخب الرعد أو ضجيج الزمان
قلبك الغض فامل عنه ففيه الأمل الحلو والهوى والأمان
١٧ صفر / ١٣٦٣ هـ

(٥)
اذكرونا مثل ذكرانا لكم

قالها ابراهيم في وداع صديقه الشاعر
الحضرمي حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله
السقاف عند مغادرته تعز/ ١٣٦٤ هـ .

يا صديقي قل لي متى حازك اليبس .. وبلغت من أمانيك شيئاً
أترى أنت ذاكري يوم كنا نشتكي هذه الحياة سوا

(٦)
يؤلمني

وله :

أما أنا فبهز أعصابي حبيبٌ هاجر
وأخ له نصفي المودة .. وهو خب غادر
ومهذب يقتاده سفهاً جهولٌ قادر
ويهرز أعصابي كريمٌ في المهانة صابر
ضاقَت به الدنيا العريضة ؛ فهو عان حائر

(٧)
هل من حيلة؟

ومن شعر الصِّبا والشَّباب قوله:

أعيش في بحرٍ من الحبِّ لا	ينفك ذا مدٍّ وذا جزرٍ
ما زلتُ في أمواجه عائماً	مستسلماً للخير والشرِّ
أرى بأنِّي لو تعدَّيته	لعشت في بؤسٍ وفي ضرٍ
وكم أغاظت حالي هذه	معاشرا يعينهم أمري
أقول مهما طال تعنيفهم	وبالغوا في النهي والزَّجرِ
هل حيلة؟ تخرجني مثلما	يُستخرج الحوت من البحرِ

(٨)

يا طير

يا طير هل بك لوعةٌ مثلي وهل تحيا مشردّ؟
وتبيت يا طير الأراك كما أبيت أنا مسهّد
لو كنت مثلك لم يكن لي في الدجى أسفٌ يردّد
ولطرتُ أنّ شئت إذ كلّ الفضا سنّ معبّد
ولأنت مثلي أنت مثلي بالأسى يا طير مكبّد
ووراء هذا الانطلاق كما أخال هوى مقيّد
من ذا يجير أخا الصباة من جوى في القلب مكمّد؟

(٩)

ويحي لأحلام الصبا

ومن شعر ابراهيم في نعر سنة ١٣٦٢ هـ :

يخونني قلبي وجسمي معا	لتلك أنكى نكبات الحياة
خطبان لو صبا على شاق	لخطاه، ولهذا قواه
على صباباتي، على ميعتي،	على أمانى القلب والهفتاه
ويحي لأحلام الصبا أصبحت	تلوح في افق بعيد مداه
بعيدة عني أراها كما .	أرى بعيني السها في سماه

(١٠)

يا صاحب القلب الكبير

دع كل قاصٍ في العباد وداني	لا يشينك عن مرامك ثان
واقدم على الدنيا وخض غمراتها	بفؤاد جبار ولطف جبان
واحملة قلباً كالبحيم إذا سطا	تهتز منه فرائص الشيطان
ما لانت الدنيا ولا حدثانها	إلا أمام عزائم الشجعان
هي مضغة بين الضلوع خفوقها	ترتاع منه طوارق الحدثان
ما الرعد إن نبضت ؛ وإن هاجت فما	وقع الحديد ، وضجة النيران
تقع الخطوب على جوانبها كما	يقع التراب بصفحة الصوان

(١١)

الهمة العالية

ليكنْ همك العلوّ إذا ما رمتْ شأواً من الفخار بعيدا
ثم لا تحتفلْ ؛ أسرتْ سريعاً للمعالي ، أم سرتْ سيراً وثيدا
ستؤذي ما بين جنبيك للمجد ، وتمضي مكرماً محمودا

(١٢) النفس الأول

وقال يقرظ ديوان «النفس الأول» للسيد أحمد
ابن محمد الشامي سنة ١٣٦٣ هـ :

عالمُ الشعر كان قبلك فوضى يتلاشى جماله يتبدّد
قصّ منه الجناح قومٌ ؛ فمن أين له أن يطير يوماً ويصعد
جعلوه عبداً ذليلاً على الأبواب ؛ في كلّ ساعة يتردّد
فامحُ ديجوره فما أنت إلا كوكبٌ في سمائه يتوقّد
وارفع الصوت وارسل «النفس الأول» روحاً للشعر يا بن محمد



لك نفسٌ وراء شعرك تبدو هي أسمى من كل شعرٍ وأبعد
صاغها مبدعُ الفنون قصيداً سرمدياً جماله ليس ينفذ

تعز

(١٣)

بيت في الحب

لابراهيم الحضرائي أبيات مفردة في معاني شتى
منها هذا البيت المفرد:

أحببتُ حتى صرْتُ أرثي لَمَنْ ماتَ ولم يظفر بأحبابِه^(١)
ولما قرأه عليّ حين زارني في بروملي قلتُ:
قد مات عن أحبابه راضياً؛ إذ إنهم قد عرفوا ما به؛

(١) رثي يرثي لفلان: رثى ورحم.

(١٤)

أمنية

وله:

يا ليت أني ما عرفت الهوى،	وليت أني ما شهدت الوجود
وليت قلبي قد من صخرة	فعاش في الدنيا كأهل الجمود
لأني شيء رب أوجدني	ألسقاء يا ترى أم سعوذ؟
وهذه الألام ما شأنها؟	وأي شيء بعد حين تعود؟

(١٥)

فراغ

دنياي خاوية ؛ فلا تلحوني
من لي بدنيا لا أفكر عندها
لاني بكل شؤونها لم أحفل
بحوادث الماضي ، ولا المستقبل
أعنت فؤادي عن تذكر غائب
آسي عليه ، وعن ترقب مقبل

نعر / ١٩٤٦ م

(١٦)

على سرير الموت

ما الذي تبغيه مني يا قدرُ قبل أن أقضي من العيش الوطرُ ؟
لي آمالُ إذا لم أقضِها .. بقيت في القلب ناراً تستعِرُ
لا أبالي جنة الفردوس إن فرشت لي ؛ لا ولا أخشى سقرُ

(١٧)

عندما أفقد آمال الحياة

إن في الجنة أزهاراً وما وبها الفرحة تغدو وتروخ،
غير أني سوف أبقى بائساً يا جنان الخلد أبكي وأنوخ

نعز / ١٩٤٥ م

(١٨)

الحب

خضته خائر القوى	جاهلاً عمقه البعيد
جئته حائراً بلا..	عدة لي ولا عتيذ
غير قلبٍ عظم	هو نبراسي الوحيد
ياله من مكبل	اثقلت خطوه القيود
كلما رام غاية	وقفت دونه السدود
هزني الحب هزة	غيرت وجهة الحياة
وقف القلب عندها	حائراً باكياً مناه
يا لأماله فقد	حطم الحب ما بناه

تعز / ١٩٤٦ م

(١٩)

في سبيل بلادي

كم تعذّبت في سبيل بلادي وتعرضت للمنون مرارا
وأنا اليوم في سبيل بلادي أبذل الروح راضيا مختارا
سجن حجه / ١٩٤٨ م

(٢٠)

طاهش الحويان

وقدمها إلى الإمام أحمد بتعز عام ١٩٤٧ م.
فقال :

يا ملك البلاد قد كل عزمي ووهت كل قوّة في كياني
قدمي مركبي إلى ساحة الدرس أعاني من الون ما أعاني
فمروا لي ببغلة أمتطيها في الطريق الطويل أو بحصان
فإذا لم أفز بهذا ولا ذا وتمادى الزمان في حرمانى
فاعذروني إذا أتيت إليكم راكباً متن «طاهش الحويان»

(٢١)

مطيتي على الصراط

وقال:

ليس معي كبش اضحي به اركبه إن جئت في الآخره
لا تضحكوا مني ولا تسخروا فربما جئت على طائره
تعز / ١٩٤٧ م

(٢٢)
بلا عنوان

سيقدم الناس لدى حشرهم هذا على ثورٍ وهذا طلي
ونحن يا مولاي نخشى بأن نقدمه مشياً على الأرجل
تعز / ١٩٤٧ م

(٢٣)

على سفود الدهر

ربّاه حتى ما أرى ضائعاً أجري وراء الأمل الضائع
كأنني «العقاد» مستسلماً والدهر في قسوته «الرافعي»
تعز / ١٩٤٥ م

(٢٤)

قدر

وله :

إن الذي كَوّن في أضلعي	قلباً بحب الحسن مجنوناً.
أودع في قلبي الهوى مثلياً	أودع في الأرض البراكيناً.
طغى . . فلا يلوي على منطق،	وثار، لا يعرف قانوناً،
كم غلط الناس، وكم حاولوا	بالنصح إرشاد المحبين،
مأساتهم ليس لها آخر،	ودأؤهم أعمق تمكيناً،
لو لم يموتوا في الهوى ظاهراً	ماتوا بحمل الهم مدفوناً

* * *

(٢٥)

ليت

وله :

ليت لمّا رأيت حسنك أطبقتُ عليه الجفون كيلا يزولا .
ليت لمّا لثمتُ ثغركِ داوى في ضلوعي جوى، ورَوّى غليلا،
أنا ظمآن يا مليحة ظمآن، ولو أنني شربت «النّيلا»!
ما شفائي وصلّ مداه قليلٌ، وبراني بعد يدوم طويلا .
لحظات اللّقاء يا ليتها دامت، وكانت لها حياتي بديلا،
ليتني قد حملتها في ضلوعي نفحات، وفي فمي سلسيلا.

المصور / ١٩٦٣ م

(٢٦)

زفرة شيطان

وقال مستقبلاً بها صديقيه الشاعرين محمد محمود
الزيربي وأحمد محمد الشامي حين قدما إلى تعز من
صنعاء عام ١٩٤٤ م.

غرّدا أيها الشجيان حولي ودعاني للنّوح مما أعاني
لكما نغمة الملاك ولي في عالم الفن زفرة الشيطان
ردّدا نغمة البلابل إني عن فم البوم أستقي الحاني
عن ضجيج السكون عن وحشة الليل، عن اليأس، عن دموع العاني
إن تطوفا على المجالس بالأنوار إني أطوف بالنيران
لا؛ فقلبي أرقّ من أن يشير البؤس واليأس في بني الإنسان
صيغ من رقة النسائم والزهر فؤاد المدلّه الفنّان

(٢٧)

هكذا أحب

وقال:

أحبك في خاطري ضجةً وفي مسمعي نغمةً حانيةً،
وأما دمي فهو يهواك جسماً يسبح بأحضانهِ الدافيةً،
أحبك في مثل سمِّ الملاك، وأهواك زُلفى لشيطانيةً،
أحبك حيث أظنَّ القلوب عليك مدَّهةً ظاميةً
وأهواك حيث مجال الصراع عنيف كما يتراءى إليه
أحب بقلبي، أحب بجسمي بأقصى غروري، بأعماقيه

* * *

(٢٨)

ما لقلبي؟

وله :

ما لقلبي يتضرم؟ وكياني يتهدم؟
أيها النفس حنانيك اهدئي ..
أيها الآمال مَهْ .. لا تعبسي .. وابتسمي ..
لَمْ لا أحيا كما تحيا الطيور .. وادعا؟
أتغنّي حين أغدو وأروح .. لاهيا.
لا أبالي همّ أمسي أو غدي،
واجددا في كل شيء متعتي،
في الهواء الطلق .. في عَرَف النسيم
في خرير الماء .. في سحر الأصيل،
لستُ بالمسؤول عن هذا الوجود:
أنا فيه ذرّة في جبل ..
أو حصاة في خضمّ مزبد.
إنما جئت لأحيا .. بفؤاد كالربيع.
لا ترى فيه سوى غصن يمس ..
وهزار يتغنّى فيه .. أو زهر يضوع؟

لَمْ لَا أَقْطَع شَوْطِي هَادِيَا ..
وَادِعَا كَالْبَدْرِ يَهْدِي السَّائِرِينَ ..
وَيَجْلِي ظُلُمَاتِ الْغَسَقِ .. دُونَ أَنْ يَطْلُبَ أَجْرًا ..
مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ .. أَوْ يَرْهَبَ ضَرًا ؟

لَمْ لَا أُسْرِي كَمَا يُسْرِي النَّسِيمَ .. عَاطِرًا ..
يَنْعَشُ النَّاسَ شَذَاهُ ..
كَلِمًا هَبَّتْ صَبَاهُ ؟

لَمْ لَا أَقْضِي حَيَاتِي وَأَنَا ..
مِثْلَمَا الزَّهْرَةُ فِي الرُّوْضِ النَّضِيرِ ..
كَمْ تَسْرُّ النَّاطِرِينَ ..
وَتَزِيلُ الْحُزْنَ عَنْ قَلْبِ الْحَزِينِ !
فَإِذَا آنَ الْأَوَانِ .. تَرَكْتُ هَذِي الْحَيَاةَ الصَّاحِبَةَ ..
ثُمَّ تَمْضِي فِي خُضْمِ الْأَبَدِيَّةِ ..
حَيْثُمَا تَفْنَى الْحَيَاةُ .. ؟ !

يَا لِهَذَا الْقَبْرِ مَا أَوْسَعُهُ ..
يَلْتَقِي فِيهِ جَمِيعُ الْعَالَمِينَ ..
مِنْ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ .. وَعَصِيٍّ وَمَطِيعٍ ..
يَتَلَاقَى الذَّنْبُ فِيهِ بِالْحَمَلِ ..
وَلَدِيهِ الشَّهْدُ وَالْحَنْظَلُ .. حَلًّا فِي مَحَلٍّ ..
وَالْحَصَى وَالْدَرَّ وَالْمَسْكُ الثَّمِينُ ،
كُلُّهَا تُجْمَعُ .. وَالطِّينُ الْمُهِينُ ..

تعز / ١٣٦٢ هـ

(٢٩)
تاج العروس

أهديت إلى القاضي عبد الرحمن الأرياني مع
كتاب تاج العروس .

يا ابن الأكارم من أقيال ذي يزن تاريخهم في سجل الدهر وهاج
هذا هو التاج يزهر في محاسنه، وأنت أجدر من يهدي له التاج

(٣٠)
إباء الكريم

كان الفريق حسن العمري - عندما كان رئيساً
لوزراء اليمن وكان يومها في القاهرة - على ميعاد
مع رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي وعندما حان
الميعاد اعتذر الرئيس الروسي بأنه مشغول بمقابلة
رئيس آخر وطلب تحديد موعد جديد فاعتذر
العمري والغى المقابلة فقال ابراهيم :

أحسنْتَ صنْعاً بما أبديتَ يا حسنُ ما قلتها أنت؛ لكن قالت اليمن
تجاهلوها ولا يدرون ويجهلُ إن الكريمَ أبيّ حين يمتهنُ

(٣١)
لا صَبْرُ

وله:

لا تقل صبراً لذي شوقٍ فما لأخي شوق عن الأحباب صبرُ
كيف يستطيع وفي أجفانه إبرُ تدمي وفي الأحشاء جرُّ؟
صنعاء ١٩٦٢ م

(٣٢)

لا عقل

ما زلتُ لي عقل أعيش به فإذا خَطَرَتِ فليس لي عقلُ
ولكم حللتُ بفطنتي عقداً أما هواك فما له حلُّ

تعز / ١٩٤٦ م

(٣٣)

أبرهة عاد

وله:

عاد. عاد. أبرهة الحبشي.
عاد. لتغویر الآبار،
عاد. ليقتلع الأشجار،
عاد. لقتل الأذواء،
ما ركب البحر. أجل لم يركب بحرا.
لم يقطع برا.
عاد. ولا أدري فالجرثومة صغرى،
صغرى. صغرى. صغرى،
فلماذا عاد ممتلئاً حقداً؟
يا ابن الأقيال. يا سيف بن ذي يزن صبرا.
صبرا. صبرا. صبرا.
ستهب رياح.
أشمال؟ لا أجنوب؟ لا. لا.
من أين إذن. من أين؟
من «حمير» «ردفان»... من نقم الساخط والغضببان
من يمحي. من الإنسان.

اليمن . . الإنسان
هذا إيماني يا أخوانُ
هاتوا . . إن كان لكم إيمان .

(٣٤)

رمالٌ عطشى

الندامى؛ وأين مَنِيَّ الندامى
يا أحبَّاءنا تنكَّر دهرٌ
ما عليكم في هجرنا من ملامٍ
وطوينا على الجراح قلوباً
سوف يدري من ضيَّع العهد أنا
نحن من لقن الحمام فغنى،
والندى في الرياض فيض دموعٍ
كما سجا الليل والجوانح هَيْمَى
النَّدامى؛ وأين مَنِيَّ الندامى؟
ذهبوا بمنَّةً، وصرتُ شأماً
كان بالأمس ثغره بَسَاماً
قد حملنا عن اللَّيالي الملاما.
دميتُ لسوعةً، وذابت غراما
منهُ أسمى نفساً وأوفى ذماما،
ومن الشَّوق عَطَّر الأنساما.
من جفون لنا أبت أن تناما
بتباريحها تناجي الظلاما،
ذهبوا بمنَّةً وصرتُ شأماً!



الرمال العطشى وتلك نفوسُ
هَوَمي يا رمال؛ ما دامت النعماء يوماً،
قد بذلنا النفيس من كل شيءٍ
فجنينا الأحلام والأوهاما
يا ليالي الأحلام عودي فلنا
قد عشقنا برغمنا الأحلاما
نبتدي حيث تنتهي ما بلغنا
من مرام، ولا شَفِينا أواما

(٣٥)

أنا والحبيب

وله:

أريه اني قد تجنّبته	ولم يعد قلبي في أسره
لكي أرى منزلي عنده	وأعرف المكنون من سره
معتقداً اني سأقضي على	دلاله الزائد، أو كبره
ولا تسل عما تكبدته	من ألم الصبر ومن ضرره
فيا لسوء الحظ لم يجدني	شيئاً، سوى أن زاد في هجره
فلتضحكوا من قصتي إنني	أصبحت كالحائر في أمره

تمز / ١٣٦٣ هـ

(٣٦)
حكم الهوى

وقال:

وكم أفكر في ذنب أزيل به حُبَّ التي تيمّنتي لوعةً وضنى
فما رأيتُ قبيحاً من خلائقها إلّا استحال على حكم الهوى حسناً

(٣٧)
مستهام

وقال:

مستهام يعبث الشوق به	عبث الموج بأنات الغريق
قلبه الدامي وقد حمّله	من تباريح الهوى ما لا يطيق
ليس ينفك حزينا موجعا	يصحب الأيام بالجرح العميق
وحّدته في الورى أشجانه	فهو في وادٍ من الشجو سحيق
حيث لا موجدة من ناظم	تبلغ الشكوى.. ولا نجوى صديق
حار في حمل الهوى.. لا كفه	عافت الكأس، ولا جفّ الرحيق

(٣٨)

قلبٌ .. ونبع ..

وقال:

أيها النبع أنت تشبه قلبي حين تعطي ولا تملّ عطاء،
وسواء عطاؤنا منح الأرض ربيعاً أو ضاع فيها هباء،
حسبنا أننا ينابيعها الغُزُر، ولسنا صخورها الصَّماء
أنت تنساب والروافد من حَوْلِكَ توليك قوةً وصفاء
وفؤادي يكاد لم تُبقي منه لفحات الرمضاء إلا ذمءاً
مفرداً.. غاضت الروافد ما استطاعت صموداً ولا أطاقت بقاء
قد عذرنا روافد الأمس؛ ما شاءت نضوباً، لكنه المحل شاء
وسنُعطي لا آبهين لمن راح من الأفلين، أو من جاء
القلوب الظماء نمنحها الحب، ونعطي لليائسين الرجاء
ما خلقنا إلا لكي نُسعدَ الناسَ جميعاً، ونسعدَ الخضراء

(٣٩)

أيسر البذل . . الدم!

وقال مخاطباً حملة الأقلام العربية من المحيط إلى
الخليج في أحد مؤتمرات بغداد بعد الحرب
العراقية الإيرانية :

لتسقط الضادُ أو فلتُخرسِ الكلمُ إن لم تعد وهي في هذا المكان فمُ،
أنحبس الحرف جنباً في حناجرنا وأيسر البذل في أرض العراقِ دمُ؟

(٤٠)

ما زال . . . ظلاماً

وله:

كَلَّ فَجِرٍ مَرَّ فَجِرٌ كاذِبٌ،	فمضى الفجرُ الذي لا يكذبُ؟
لم تزل أضواؤه غائرةً	وعليها من قتامٍ حُجْبُ!
حجبٌ؛ لكنها زائلةٌ،	إنه آتٍ . . فعش يا «رجبُ»،
أملِي قبل أُلَاقِي أجلي	أن أراه ساطعاً يقتربُ،
يمنح الناسَ يقيناً صادقاً؟	هو أنا في المعالي عربُ،

يا من استأنس قلبي بهمُ	لعبُ يجمعنا أو أدبُ،
كلَّكم داني إلى القلب هنا،	أو هنا، كلُّ رفاقي نُجْبُ
لا تطل خطوتنا عن ساحها	الدجى فيه الردى والعطب
سألوني عن أناس لهمُ	هممٌ وهميةٌ لا تنضبُ
قلتُ روح في الدجى سائبةٌ	تعبت والناس منها تعبوا،
كيف أبني بيت جاري واهماً؟	كيف أبنيه وبيتي خرب؟!

٢٦ / سبتمبر / ١٩٦٥

(٤١)

أيها النائمون
البراكين نائمة . . !

وله :

أيها النائمون في غابة الأسد على رسلكم فإنِّي نذيرُ
البراكين يَنْبُتُ العُشْبُ غُضًّا في ثراها، ويسجع العصفورُ
البراكين قد تنام؛ ولكن ما أشد البركان حين يثورُ

(٤٢)

أنا ..

وله :

أنا من أنا؟ أنا جذوة لا تنطفي	أنا ثورة كبرى تلوح وتختفي،
تحت الأسار وما لها من مسعف	أنا روح جبار تنن حزينه؛
كف الغني وما له من منصف	أنا أنة المسكين تأخذ حقه
عظمت ففاضت عن نطاق الأحرف	أنا خطرة الصوفي في محرابه
هذي الحياة بها فؤادي يكتفي	لا الدهر يسعني بما أهوى ولا

تعز / ١٩٤٤ م

(٤٣)

غادة الطائرة ..

غادة قرّبت الحلوى لنا فهو يختال على معصمها
غفر الله لها ما ضرها لو سقّتنا الحلو من مبسمها؟
سما الجزائر / ١٩٧٥ م

(٤٤)

صمت نجد

يا رفيقيّ قد مررنا بنجدٍ وهي ملء النهى وملء الخواطر،
حيث عشنا تاريخ نجد بطولات كميّ، وعبقريات شاعر.
ليت شعري ما بالها قابلتنا بسكوتٍ، ولا سكوت المقابر،
لم ترحب بنا مضارب عبسٍ، لا ولا هشّ للقريّ حيّ عامر!
قد رضينا بما رأينا وبالعلم اكتفيناه، وما العليم بخاسر
نجد / ١٩٧٢ م

(٤٥)

قصتي مع الحسناء

وقال ويقصد بالحسنة الحرية :

عذلوني في محبتها	وهواها وحده قدري
من أنا حتى اعاندها	وهي في سمعي وفي بصري
حملتني ما تنوء به	- في هواها - طاقة البشر
وإليكم قصتي معها	بعض ما يروى من الخبر
لست أنساها وقد بسمت	كابتسام الروض بالزهر
ثم قالت غير آبهة	بي، وما حولي من الأطر
ان هذي الدار ضيقة	ضيقتها يفضي إلى الضرر
ويك؛ هذي الدار دار أبي	شادها في سالف العصر
ليكن؛ ما عادلي وطر	فيك. أو في الدار من وطر
ما ترى جدرانها حجبت	عنك ضوء الشمس والقمر
شادها أهلوك في ضنك	في الحجى، في الورد والصدر
قلت: لا أبغي بها بدلاً	فصلي إن شئت أو فذر
نفرت عني مغاضبة	فهوت نفسي على الأثر
أنت يا سمعي ويا بصري	لك ما تهوينه.. فمري
ومضينا في الطريق معا	للجنان الخضر أو سقر

(١٠٦)
كلهم يحدثني عنك

وله :

حَبَّك؟ ما أقوى، وما أعمقا	قد علم الأشياء أن تنطقا
قالت لي الصخرة: لا تنسه	وكيف أنسى حبيّ الأسبقا؟
والنهر لما جئته مفرداً..	يسألني عن موعد الملتقى
والروض حتى الروض ما لم تكن	بجانبي ينظرني محنقا
نسمته في مسمعي عاصف	وزهره يوشك أن يحرقا
والعطر يأبى كلما رمته	من غير أنفاسك أن يعبقا
علمت ما حولي حديث الهوى	وكيف يُضني قلبي الشيقا

(٤٧)

حب - ثم فراق - ثم لقاء

يا مطار الكويت قصة حب أنت لم تدر كنهها يا مطار
هل لكست القلوب حين تلاقت أو رأيت الألفاظ وهي تُدار؟

يا حبيبي إذا ألم بك البرد وأدركت في أوروبا شتاها
وتخيلت أن ثمة كفاً لجفون تلقي عليك غطاها
فتأكد بأنها كف من يهواك حقاً.. كفي أنا لا سواها

يا حبيبي واليوم هأنت عدنا وبقايا من الحنان حملنا
تتملى ملامحي بارتياح فأنا لا أنا، ولا أنت أنتا
ربما قلت أو أقول بهمس يا رعى الله يوم كنا وكنتا

(٤٨)

وداعاً يا ...

قد سكن الجمر واللهيبُ	والتحم الجرح يا حبيبُ
والليل - ليل الشجون ولّي	وزال كابوسه الرهيب
لم أنس لم أنس يا حبيبي	بأنك الداء والطبيبُ
راضون، راضون قد رجعنا	لا حسنات ولا ذنوبُ
أتوبُ؟ هيهات يا حبيبي	لو قلتها انني كذوبُ
لَقَتْنِي الحب، كيف عنه	وعن معاناته اتوبُ؟
لا عيش لا عيش يا حبيبي	بدون أن تحقق القلوب

الكويت ١٩٧٧/١١/٢ م

(٤٩)

نغمٌ يترنح

إني ادمتكَ يا مسكينُ وأنا مسكينُ
لا أدري من منا المورفينُ، أنتَ المورفينُ.
هل أنتَ صحوتَ على السكينِ والقلب طعينُ؟
فأنا يا روحي في الحين أصبحت أنينُ

أحييتكَ يا لغزاً مبهمُ لا يُفهمُ
ان كنت بحبِّي لا تعلم فلتُلهِمُ
الموت فراقك والعلقم بل أعظم
لم تبق بجسمي قطرة دم لم تحلم

وبلغنا الغاية فلنرجع لا تسرع
الموت تقدمنا أصبع فلنُقْلِصْ
القطرة إن دامت توجع من تسمع

أنسى؟ أفتنصحنى أنسى؟ لا أقوى
هل ينسى الجمرة من يصلى؟ لا ينسى..
قدر؛ فلنصبر لبلوى الصبر دوا...
الصبر دوا،
الصبر دوا.

قل لي.. من حاك لنا المأساة أتقول: الله
كلّا؛ الله لنا الله لا شيء سواه
سلم بالواقع يا لاهُ فهناك إله

من أتقن صنعاُ للأشياء من أحياء
من أضرم حبك في الاحشا من سوى
من أجرى في الأوراق الما في الظلما
لكن الميزان طغى
الميزان طغى... الميزان طغى
«يا معين الضنى عليّ أعنيّ على الضنى»

(٥٠)

وكتب إليّ مقطوعة مطلعها:

لست أنسى بسفح لبنان يوماً قد خطفناه من يد الأيام
ونديمي فيه الرضيُّ وبشاربن بردٍ وعروة بن حزام

(٥١)

ي، م، ن

كتب ابراهيم يقول : كنت قبل ثورتي
«صنعاء» و«عدن» أسأل من أين أنا؟ فأقول من
اليمن وأتوكل على الله، أما الآن فيقال لي: من
أي اليمن؟ أمن الشمال أم من الجنوب؟

«يَمَنُ» قلتُ فلم يقتنعوا	دون أن يتبعها «جيمٌ» و«شين»
«يَمَنُ» يا قوم هذي أحرف	صهرتها في المحاريب قرون
وإذا ما شتتمو تبيانها	فهبي «ياء» ثم «ميمٌ» ، ثم «نون»
كلّ حرف ما عداها منكرٌ	همجيّ القصد مشبوهٌ لعين
ان حرف «الشين» شرٌّ وهنا	لا أطيع «الشين» و«الجيم» جنون
قسماً بل قزماً تاريخنا	وكلا التقسيم والتقزيم هون
غضبت «حمير» في مرقدها	وشكا «عثر» واهتزّت «مَعِين»

الكويت

(٥٢)

من قصيدة طويلة

هنا بها ابراهيم الشاعر المصري أحمد رامي
عندما أعطي جائزة الدولة :

يا أخي في الكفاح لا حيث يجري	شاهراً سيفه الفتى المغوار
نحن فرسانها إذا ما تلاقت	في الصراع القلوب والافكارُ
فلماذا ونحن لا نشعل الـ	نار تهّد النفوس منا النار

(٥٣)
تحيّة لعدن

وقال عند زيارته لعدن في شهر
مايو/١٩٨٣ م :

حيّ الجبال الشّم والكثبا	حيّ النسيم السّمح إذ هبّا
يا شعر نحن اليوم في عدنٍ	لَمْ لا تفيض لبوحها حبّا
رقّ الحبيب فطرت من فرح	حتى نسيت اللوم والعتبا
صافحت في أحضانها أملاً	ولمست في جنباتها قلبا
وخبأت للأجيال أغنيّة	من ذا سيعزف لحنها العذبا ؟

(٥٤)

يمني في القاهرة

وله:

يا ابنة النيل وأم العرب	أنا في ساحك لم أغترِبْ
هذه الروعة مهما عظمت	لستُ عنها ببعيد النسبِ
هي مني وأنا منها أنا	فكلانا عربيّ، عربي
أطلقني الصاروخ يا مصر، انهضي	للمعالي واصعدي للشهب
تلك أحلامي التي هددهتها	في ضلوعي، تلك أحلام أبي
من أنا لو لم تكوني سندي	ويدي في حالكات النوب؟
من أنا لو انكرتني تربة	أنكرت خير بنيك النجب
حيث يجري النيل في اعراقهم	كرماً ينسبك عذب المشرب
وأبو الهول وأهراماته	همم لم تنهزم لم تغلب
نصبوا لي ولماضي أمتي	شرفاً لولا هموم لم يُنصب
وتلاقت في العلا أجدانا	روعة «النيل» وماضي «مأرب»

(٥٥)

شكوى صامته

وله :

من أنت يا من ترسل النظرات آلاماً وشكوى
وتصعد الأنفاس أناتٍ وآهاتٍ ونجوى؟
وتريد أن تخفي الجراح.. عن العيون، وكيف تقوى؟
النار يفضحها الدخان وتحتها الأحشاء تكوى
يؤدي الحياة بأن تُرى هذي الروائع وهي تُطوى
والغصن يذبل في الربيع الغض والأزهار تذوى
من أنت؟ لا أدري سوى أني عليك أذوب شجوا
وألوم من سرق الربيع.. شذاه، من أغرى وأغوى،
الله ما خلق الجمال لكي يذوب أسي، ويضوى
لكن.. لتعبده القلوب، لينتشى فرحاً وزهوا

أحزينة النظرات ذات الكبرياء المستكينه
بُوحى لسمعي بالذي تخفي روائعك الحزينه
الصمت - لو تدرين - أنكى من غناء تكتمينه
بُوحى بشجوك لي فقلبي كاد أن ينسى شجونه
ينسى مُصارعة الزمان وكيده.. ينسى جنونه؛

سترين يا حسناء كيف تقلّب الدنيا اللعينة
تؤذيك من حيث الهناء، وحيثما تترقبينه
في رقة القلب الرؤوم، وفي هوى النفس الحنونة
حسناء هذي نفثة من خافق لا تعرفينه
ستطوف حولك بالحنان أعز ما تتطلّبه
توحي لقلبك بالرضى، وإلى ضميرك بالسكينة

(٥٦)

يمني في شوارع روما

وله:

تساءل الجدران بي وأنا بساحتها أطوفُ
من ذلك الوجه الغريب؛ وذلك الشبح النحيفُ
يمشي فتمشي حول هيكله من الماضي طيوفُ
الذعر في نظراته والرعب والقلق المخيفُ
يا مهبط «الرومان» هذا ما جنى الزمن العجيفُ
من عهد «حمير» لا يزال يروعنا، أو عهد «خوفو»
والجرحُ؛ جرح المستبد له بأكبدنا نزيغُ،
أمشي «بروما» حائر الخطوات لي سمعُ كفيفُ
يتحسس الكلمات كالأعمى بمهمّة يطوف
الدار تنكرني ولكني بساكنها شغوف
أشدو فينكر جوها شدوي، وتلفظه السقوف

روما ١٩٦٢ م

(٥٧)

بناة السد العالي

وقال سنة ١٩٦٥ م :

فَتَنَّا «أسوان» لَمَّا أَتَيْنَاهَا نفوساً، وأدهشتنا عقولا .
باركوها مغانياً أهلاتٍ بالمعالي ومجدوها طلولاً .
وانظروا كيف صار مجد جديدٌ في رباهـا يفوق مجداً أثيلاً،
يا بناة «الأهرام» وهي لعمرى آية الخلد في العصور الأولى،
غير مستنكر بعهد «الصواريخ» عليكم أن تصنعوا المستحيلاً،
إنه السدّ، إنه العمل الجبار؛ يكفي على الطموح دليلاً .
لم تعدّوا له الأكف قوياتٍ لكي تحكموه عرضاً وطولاً .
إنما شدّقوه علماً، وأعددتُم له همةً، وخلقاً نبيلاً .
وقوى من حوافز الروح تلقى صخرة في الثرى كثيراً مهيلاً
بأبي كلّ أسمرٍ يرفع الفأس قوياً أو يحمل الإزميلاً
لوَحّته حرارة الشمس حتى وضعت في جبينه إكليلاً .
بين عينيه عزمة من «جمالٍ» تتحدى الزمان والمستحيلاً
حفظ الله للعروبة والمجد «جمالاً» فكم أنال جميلاً
إنه وثبة العروبة من بعد خمولٍ أناخ دهرأ طويلاً .
قل «لرمسيس» إن في مصر قوماً عشقوا المجد فتيةً وكهولاً

ورثوه عزيمةً ثم كانوا.. منه أسمى خطيٍّ، وأهدى سبيلاً
حملوا العبء باهظاً حين صاروا يحملون القرآن والانجيلا
القاهرة / ١٩٦٥ م

(٥٨)

الشلال

تكونت عناصر هذه القصيدة بين الحديدة
وصنعاء، حيث يوجد شلال صغير يعرج عليه
المسافرون والسواح ليتمتعوا بجماله وجمال الطبيعة
حوله، عاد إليه الشاعر في الشتاء فحزن وقال :

يا حبيبي لقد مررنا بهذا النبع يوماً وجُبنا دَفَاقُ
ثم عدنا إليه والعشب قد جَفَّ، وجَفَّتْ في قلبك الأشواقُ،
هكذا قالت الطبيعة: إِنَّا هكذا هكذا لَقِىَّ وفراقُ؛
يا حبيبي سيرجع العشب غَضًّا وسيلهو كعهدنا العشاقُ
والعصافير في الروابي تَغْنِي والشذى والزهور والأوراق،
غير قل لي ربيعنا بعدما غاب، أيرجى لُصْبَحُه إشراقُ
يا حبيبي وفي الضلوع رَمَادٌ من بقايا أَيْامنا عِبَاقُ
ضَعُهُ فوق الجراح، ضَعُهُ ولو طَرَفَةً عين - فَإِنَّه تَرياقُ
هذه لحظة هي الدهر؛ لا ماضٍ تَوَلَّى، ولا غَدٌ لا يُطَاقُ،

أَنْتَ لست المدان إن ذبل العُشب فأودى أو جَفَّت الغدرانُ،
أَنْتَ من أَنْت يا رفيق حياتي؟ وأنا من أنا؟ كلانا دخان.

عصفت حولنا الرياح العواوي فهي - لا نحن - يا حبيبي تدان،
إنني قد سألت قلبي لك الغفران يا من وجوده غفران
أي قلب وكيف يسمع قلبي؟ والهوى فيه صاحب غضبان.
قضي الأمر يا أحبة قلبي، ليس لي قدرة، ولا سلطان،

يا حبيبي وليس أول جرح كم حملنا لمن نحب جراحا،
ونسينا الجراح وهي دوام والمساء الحزين والإصباحا،
سوف أنسى؛ أنساك يا مهجة النفس وأنسى الهموم والأتراحا
وعليك الجناح إذ انك الظالم بدءاً، أما أنا لا جناحاً
إن خوفي أن يثار الحب ممن داسه عامداً وولى وراحا

يا حبيبي واليوم ها أنت عدتا وبقايا من الحنان حملتا،
تتملى ملاحى بارتياح فأنا لا أنا، ولا أنت أنتا
ربما قلت أو أقول بهمس يا رعى الله يوم كنا وكنتا

فلنعد، فلنعد إلى الشلال لهوانا الجميل أو للخيال
ومحياك شامخ متألئ يا حبيبي شموخ تلك الجبال
لست أدري أحببتها فيك أم أحببت فيها جمالك المتلاي؟
أنتما أنتما معاً بهجة الروح، ومعنى الهوى، وسرّ الجمال
وجناحي لو فقدت جناحاً عشت في لوعة وفي أوجال

(٥٩)

صديقة الهاتف

وله :

أهند ؟ أم مية ؟ أم آمنة ؟	لم أدري لما اتصلت ما أسمها
وأخلصت لي حبها الفاتنة :	قالت وقد أخلصت حبي لها ،
عرفت فيك الفكرة الكامنة ،	عرفتني ؟ قلت لها : إنني
عرفت حتى نفسك الحازنة ،	عرفت أفكارك وقادة ..
ماذا يفيد أسمك يا كاهنه ؟!	قالت: تكهن من أنا ؟ قلت: لا

(٦٠)

من خلق الفتنة غيري أنا؟

وله :

اللَّهُ قد صاغكِ من طينةٍ
فحدثيني يا منى خاطري
من جعل الألفاظ فتاكَةً؟
من خلق الفتنة غيري أنا..
لولاى ما افترت زهور الربا،
ولا علت عينيك إشراقَةً
ما جسمك الرجراج لولا أنا؟
إن تسأليني : كيف صورتني
أنتِ لعمري أعرف الناس بي
ورعشة الوجنة عند اللقاء
خلقتُ هذا الحسن من خافق
خلقته من همسات المنى،
من ومضات النور عند الدجى
أواه من قلب يقاسي الضنى
أشكوك؟ لا أدري؛ ألسْتُ الذي

كسائر الناس ولا أكثرُ
من خلق الحسن الذي يبهرُ؟
والشعر من صيره يُسكرُ؟
أنا.. أنا خالقكِ الأكبرُ
ولا شدا ناي ولا مزهرُ
يسبّح الله لها عبقر،
ما سحره؟ ما طرفك الأحورُ؟؟
وأنت لا تقوى ولا تقدرُ؟؟
ما أحد مثلك بي أخبرُ،
تشهد لي، والطرف إذ يُكسرُ
مضى، وطرف في الدجى يسهر
من كل ما أهوى وما أكبرُ
والليل من حولي يَعكوكر
في كل يوم جرحه ينغزُ
بكفه قد صنِع الخنجَرُ

القاهرة / ١٩٦٢ م

(٦١)

صفحتان من الرحلة . . . وهامش

وله :

والكثرة في وطني الأكبر،	القرية تعرف والبندر
هذا قد ثار، وما قصر،	الكلُّ يشير بإعجاب:
يغلي، يتلظى، يتفجر؛	وأنا ما زلتُ كبركانٍ
ثار البركان وما فكّر	مهلاً؛ سأقول لكم شيئاً:

ثارت، جُنْتُ، نفثت نارا	قلمي، كلماتي، أعماقي
وسحقتُ كباراً وصغاراً،	ومررت شواظاً من لهب،
وعبدتُ بلادي أحجاراً،	وكفرتُ بقومي تاريخاً؛
لم أحمِ الصاحب والجارا!	وحملتُ الدار، ولكني

بالحب، وعين ترعاني	كم قلب رف ليغمري
نحوي وشعور إنساني	ويدُّ مُدَّتْ لأبٍ حدبٍ
منهم بالقاصي والداني	فلويتُ الكفِّ ولم أحفل
نَفَذْتُ إرادة أوطاني	لم أذنب؛ كلاً لم أذنب

وهناك همس يزعجني	دوماً، ويناشدني الثمنا
ويقول عساك بما أسلفت	ذكرت الأمة والوطنا
وحملت العبء بمقدرة	وهجرت الراحة والوسنا
فأكاد أجيب وبى خجل	الكل تلاشى؛ غير «أنا»

والموجة ما زالت غضبي	وأنا وشراعي لم نرس
والناس تسير كما كانت؛	طفل لم يحفل بالدرس
وقصارى الأمر أقول لكم	في همس لو أجدى همسي
أعظم بالثورة لو أني	فجرت الثورة في نفسي

وطويت الصفحة في صمت	فالصورة تبدو مهزوزة
وتركت السطح لفارسه	فرسان السطح لهم ميزه!
وذكرت الخط.. فأرعشني	وتذكر تربى إبريزه
وطغى البركان وثورته	قد كانت رفضاً وغريزه.

ولدى «سيناء»، وفي «الجلان»	نكست الهامة إجلالا
ونفضت الزيف بأجمعه	ونسيت يمينا وشمالا
ووقفت. أحبي بخشوع	في الجبهة قومي الأبطالا
إن ماتوا ثم فقد تركوا	في كل فؤاد آمالا

قد كنت أسافر في تيه	والدرب يمزق أقدامي
معصوب العين بلا أمل	لم أدر ورائي وأمامي
واليوم اليوم بما بذلوا	أمشي والشعلة قدامي
ويطول السير فلم أعبأ	فالنصر يداعب أحلامي

آمنت بقومي تاريخاً	مهما كانوا وكما كانا
آمنتُ بأرضي أنهاراً	تجري بالخصب وكثباناً
من أرض «الشام» إلى «نجد»	فإلى «بغداد» و«تطوانا»
آمنت بهم، وبوحدتهم	فكراً، شأواً، أو وجدانا

وكفرتُ بغرسٍ لم يُسَقِّ،	لم ينم بأرضٍ عربيّة
لم أَلح فيه على قرب	نفحات اليد الوحشيّة
وأنا من عاش بأفاقٍ	ليست في الصفحة مروية
وبعدتُ بعدت، ولكني	آمنت أخيراً «بغزيّة»

الهامش...

يا نبع بلادي لا تبخل	فأخي في الجبهة ظمآن
يا زرع بلادي لا تخلف	فأنا من حولك غرثان
يا رب الأسرة فلتُنصف	الكل بسوحك اخوان
أولاً: فأقولُ بلا وعيٍ	بركانٌ بركانٌ بركان؟

الجزائر ١٩٧٥ م

(٦٢)

لماذا أخاف من الموت؟

وقال وهو ينتظر الاستشهاد في سجن نافع سنة
١٩٤٨ م / ١٣٦٧ هـ إثر فشل ثورة الدستور :

حنانك يا سيف المنية فارجع،	ويا ظلة الموت الزوام تقشعي
ووالله ما خفت المنايا وهذه	طلائعها مني بمرأى ومسمع
ولكن حقاً في فؤادي لأمني	أخاف إذا ما مت من موته معي

(٦٣)

الأمير عبد الله بن عبد العزيز والمطر

لما زار إبراهيم الحضراي الطائف سنة
١٤٠٧ هـ صادف وصول الأمير عبد الله بن
عبد العزيز ولي عهد المملكة السعودية إليها مرافقاً
لهطول الأمطار الغزيرة فقال وأنشدها في ديوانه :

قالوا أطلّ ولي العهد فابتهجت	أرض الحجاز به والبدو والحضرُ
فقلت إن ولي العهد طلعتُه	ميمونةٌ صاحبها الخيرُ والظفر
ثلاثةٌ سعدت أرض الحجاز بها	شهر الصيام وعبد الله والمطرُ

(٦٤)

إلى أين؟

وله : ونشرتها جريدة الشرق الأوسط بتاريخ
١٩٨٦/٢/١ م .
«صعدتُ الجبالَ وجبتُ الأودية، وجلتُ هنا
وهناك» .

وبحثتُ عما إذا لقد أوشكتُ أن	أعيا ، وأوشكتُ الخطى تتعثرُ
لا شيء غير رؤى تمرّ عتيّة	صارعتها فوجدتها لا تقهرُ
تهوى الشموخ ولا شموخ وإنما	وهم على طول المدى يتكرّرُ
قل للآلى جاءوا الحياة جلامداً	كصخورها والصخر قد يتفجّرُ
إني نزلت بها كبسمة زهرة	ما زال يلفحها الهجيرُ ويصهرُ
ونزلت ساحتها ارتعاشة موجة	ظلت على شطآنها تتكسرُ
قدر منيت به ولما ألتمسُ	منه الخلاص ؛ لأنني لا أقدرُ

(٦٥)

صدى الشوق

أنت في النهر ولم تروِ غليلا
آدك الهُمُّ ومخلوق لهُ
ما سوى الدمع له من سلوة
أو صديقاً نازحاً شطت به
ونهايات المآسي مثلما
فأمرؤ القيس بكى إذ آدهُ
فرجاء لا ترجي المستحيلا
ما تراهم قبلنا كيف مضوا
زمن يجني على أبنائه
تجلب الهُمُّ على أبنائها
إنَّ محبوباً جفا ، أو حاكما
هي دنيا النَّاس ؛ هُمُّ وأسى
وأليف الشوق فيها خافقي
حيث لم تبق بجسمي ذرَّة
يكمن الشوق بقلبي كاللظى

عجباً كيف تروم المستحيلا ؟
قلبك الخفاق فاحمله ثقيلًا ،
فابك إن شئت به رسماً محيلا
غرْبَةُ نفساً وأرضاً وقبيلًا ،
ذقتها خلأ هوى ينسى خليلا
حمل هم مثلما آد «جميلا» .
زمنًا يبسم ، أو ظلًا ظليلا
يتشاكون رعيلاً فرعيلا . .
وحياة عودت أن لا تنيلا
وهراء ما رووا ؛ قالاً وقبلا
جار ، أو عبثاً غدا اليوم ثقيلًا
جعلت مما نصاليه دليلا . .
فلکم ودّع بالدمع خليلا
لم يجرّعها النوى داءً وبيلا ،
كلّما ودّعت لي إلفاً نيلا .

كنت لي في ساعة الرعب زميلاً^(١)
 مسحت همّاً أعانيه طويلاً . .
 ولقلبي بلسماً يشفي العليلاً
 كم أنارت في دجى الخطب سبيلاً
 هل سألقاه فان الصبر عيلاً؟^(٢)
 في النوى حلّ قلوباً وعقولا ،
 ما نأى عنه مساءً أو مقيلاً
 نفحة يخلق فينا المستحيلاً
 وكفى الحرف لمشتاق بديلاً
 صنعاء ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

كنت يا أحمد لي إلفاً كما
 لست أنسى منك نجوى بسمه
 لست أنسى منك ذوقاً كان لي
 لست أنسى لست أنسى فكرة
 وزميل شطت الدار به
 ان يكن عنا بعيداً إنه
 راهب للحرف في محرابه
 نحن منه وله وهو لنا
 ما سكبنا دمعا إلا به

(١) المخاطب الشاعر أحمد بن عبد الرحمن المعلمي .
 (٢) الزميل هنا هو جامع الديوان أحمد محمد الشامي .

(٦٦)

الحداثة والقافلة . !

ومما راسلني به من الشعر هذه القصيدة في
١٩٨٧/١٠ .

وَهَنَتْ فِي سَاحَةِ الشَّرْبِ يَدَايَا
حِينَ كَانَ الدَّرْبُ وَخْشِي الرُّؤْيَا
كُنْتُ أَحْدُوها ؛ وَيَحْدُوها مَعِي
يِرْصُدُ السَّيْرَ . . . فَلَا يَرْضَى لَهَا
لَوْ تَرَانَا وَالْدَّجَى مِنْ حَوْلِنَا ،
وَالْمَغَاوِيرَ ، وَقَدْ شَطَّتْ بِهِم
يَتَهَاوُونَ صَرِيحاً يَلْتَقِي ،
تَحْضُنُ الْمَوْتَ وَفِيهَا نَخْوَةٌ
وَيَطُولُ السَّيْرُ مَا مِنْ قَبْسٍ
وَنَفُوسٌ هَاهُنَا ، أَوْ هَاهُنَا
طَلَعَ الْفَجْرُ فَقَلْنَا لِلْأَلَى
قَدْ غَذَيْنَا سَيْرَهَا مِنْ دَمِنَا ،
وَالسَّرَى يَصْرُخُ فِي أَعْمَاقِنَا :
كَيْفَ نَنْسَى حُبَّهَا وَهِيَ الَّتِي ؛
وَوَهَتْ مِنْ طَوْلِ مَسْرَاهَا خُطَايَا
أَيْنَمَا يَمُتُ هَوْلٌ ، وَبِلَايَا ،
صَاحِبٌ لِي فِي السَّرَى جَمُّ الْمَزَايَا . . .
مَقْلَةٌ تَغْمُضُ ، أَوْ نَفْساً . . . تَعَايَا !
يَقْذِفُ الرَّعْبَ ، وَيَقْتَاتُ الْحَنَايَا
هِمُّ ؛ إِمَّا الْمُنَى ؛ أَوْ فَالْمُنَايَا
بَصْرِيْعٌ ، وَشَطَايَا بِشَطَايَا . . . !
تَتَحَدَّى - آخِرُ الدَّهْرِ - الرُّزَايَا
يَتَرَاءَى ؛ غَيْرُ أَشْبَاحِ الضَّحَايَا
تَتَنَاجَى ؛ يَا لِأَحْلَامِ الْمَرَايَا !
حَلُّوا رَايَتَهَا : هَذِي الْأَمَانَةُ
وَحَدَوْنَاهَا بِصَبْرِ وَرَكَانَةٍ
غَفْوَةٍ . كُلُّ فَرِيقٍ وَزَمَانَةٍ !
فِي النُّهَى ذِكْرٌ وَفِي الْقَلْبِ دِيَانَةٌ ؟

آه لِلْأَيَّامِ تَغْتَالِ الرُّؤْيَ
 حَكْمُهَا يَجْرِي عَلَى مَا تَشْتَهِي
 تَعَكْسُ الْأَشْيَاءَ حَتَّى يَغْتَدِي
 مَنْ مُعِينِي... وَأَنَا أَجْتَازُهَا
 أَرْفَعُ الصَّوْتُ فَمَنْ يَسْمَعُنِي؟
 كُلَّ حَالٍ بَيْنَهَا حَائِلَةٌ !
 لَا عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ السَّائِلَةُ ،
 عَالِي الشَّيْءِ يُضَاهِي سَائِلَةٌ
 فِي عِرَاكِ؟ وَهِيَ حَوْلِي صَائِلَةٌ ؟!
 أَيْنَ أَنْتُمْ يَا رِفَاقَ الْقَافِلَةِ؟

(٦٧)

وداع صديق

«اجتمع الشاعر ذات ليلة من ليالي رجب سنة
١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م مع زمرة من الأصدقاء بتعز
لوداع السيد الأديب عبد الله بن يحيى الديلمي
فقال الشامي مداعباً «سر على طائر السعود»
وأجاب الشاعر ابراهيم الحضرائي: «وعسى الله
أن تعود» وما زال الشاعران يتبادران اللفظة تلو
اللفظة ، والبيت بعد البيت حتى تمت هذه
القصيدة :

سير على طائر السعود	وعسى الله أن تعود
ونرى ما يسرنا	منك يا زينة الوجود
زورة تذهب الأسى	ويُداوى بها الصدود
سترى في «ذمار» ما	يجلب الأنس والسعود
وغزلاً مهفهفاً	ناعم اللّمس والحدود
فاختصر غصن قدّه	وارتشف ثغره البرود
كن هزّاراً مُغرّداً	فوق رمانة النهود
والتمس في جماله	نغمة الفنّ والخلود
وأديباً مثقفاً...	هو باقٍ على العهود

تنتشي من حديثه نشوة المغرم الودود
ما أحلى صفاته لا حقوق، ولا لدود

يا صديقي إذا وَصَلْتَ «ذماراً» بعافية
فاذكرن عهدنا الذي قد حمدنا ليالية
حين كُنَّا جماعةً من أديب وراويهِ
وصديق تروقنا نكتةً منه غالية
وطبيب، بنائه للمصابين شافية
وخطيب، وشاعرٍ مبدع كل قافية
وكريمٍ سحابه لذوي البؤس هامية
ومحبٌ مُتِّمٌ بين جَنِيهِ هاوية
وضلوعٍ حَنَتْ على... كَيْدٍ منه دامية
أَنْ حَفَلًا يَضُمُّهُمْ خير حفل «اليمانية»
فَلْتَعُدْ نحوهم لكي ترسل الصوتَ ثانية

فالوداع الوداع يا خير من رَجَّع النشيد
كنت فينا مغرداً تودع السحر في القصيد
كل يومٍ يروقنا خلقتك الزّاهر الوحيد
ولقد كنت بلبلاً تتغنى بما نريد
طائراً صادق الهوى هو في عصره «فريد»
كل قلبٍ من النوى بعده مكمّد عميد
إيه لا تُنْسَ ودنا لك أو عهدنا العهد
وابلغُن كل شاعرٍ صادق، ودنا الأكيد
نحن اخوان كل ذي فطنة شاعرٍ مجيد
جمعتنا عواطفُ أَلَفَتْ شَمَلْنَا البديد

(٦٨)

ضحايا الحرب

وله :

أيا مَنْ يرسل الدمعَ سخيناً طرفها الباكي،
على واحدها البكر.. رمته كفت سقائك
دعي النوحَ فما يجدي بأن تدمع عيناك
هو القاتل والمقتول، والمشكوة والشاكي
لماذا حمل السيف لماذا لبس «الكاكي»؟

ألا يا أمّة الثكلي ويا والدهُ المحزون
لقد أودى وإن الذنب في نفسيكما مخزون
وما هو غير تعبيرٍ لـ شيطانكما الملعون،
أُيِّكى واحدٌ أودى، ولا يُيِّكى على مليون؟!
إلى النفس، إلى القلب، إلى المتمرد المجنون!

تعد النّارَ يا إنسان، والصّاروخ «الذرة»
وتذكر من طوته الحرب بالحسرة، والعبرة
فما أسخفها دعوى، وما أكذبها فكره...

على نفسك فلتبك على طيبتك القذره،
على الشر، على الحقد، على الغش، على الأثره.

لقد آن بأن تصحو، وأن تفهم يا إنسان
على لعلّة الذرة، أو قعقة الصوّان
وان تنتزع الشر، وأن تستأصل الطغيان
وتبحث في حناياك، عن الخير، عن الإيمان
عن الرحمة توليها عن الصفح، عن الاحسان

(٦٩)

عبد الله العزب

وقال يرثي الأديب القاضي عبد الله العزب
المتوفى بتعز سنة ١٣٦٤ هـ :

هو نجمٌ هوى ونصلٌ تحطّم وبناءٌ من الفخار تهدّم
ويحكم أيّها اليمانون هذا كارتٌ في البلاد يبكي له دم
لا تقولوا: فردٌ مضى فلعمرى إنها أمةٌ ، وجيشٌ عرمرم ،
إن نفس العظيم تحمل ما لم . . يتمكّن من حملهِ العددُ الجَم
سر إلى الخلد أيّها العالم الفدّ ، ودعنا من الأسى في جهنّم
سر إلى حيث ينتهي الخير والشرّ جميعاً ، ويستوي المدحُ والذمّ ،
وتموت الأحقاد والحب يخبو والأمانى جميعها تتحطّم ،

كم تمنيت قربكم ، والليالي شأنها في العباد أن تتحكّم ،
لم تكن غير ساعة جمعتنا وستبقى في القلب ناراً تضيرّم
يحمل الشاعر المآسى ويمشي وحده في الظلام يبكي وينظم
ربّ خطب تشاغل الناس عنه بات دون العباد عنه يُترجم
هو عند الكثير خطب يسيرٌ ، وهو في قلبه عناء مجثم !
لست أنسى هذا المصاب ولا ما حلّ بالشعب من مصاب تقدّم

فمصّاب «الوريث» أمس وخطب «العزب» اليوم ضجةٌ تُسمع الصمّ^(١)
كم ظلمنا نفوسنا حين لم ندر قديماً أن المقادير أظلم
وأمتنا شعور قومٍ ونبدي نبرات الأسى على اللحم والدم .



(١) يقصد العالم الأديب السيد أحمد بن عبد الوهاب الوريث رئيس تحرير مجلة «الحكمة الميانية» .

(٧٠)

إلى الصديق الراحل الشاعر محمود حسن إسماعيل

قد رحلوا ؛ لم يضربوا موعداً
ما بعدوا عني سوى غمضة
محمود قد كنا على الفة
كنت تخاف الموت لكنني
وكيف ؛ والأحباب في أفقه
تواردوه واحداً واحداً ،
الشاعر الفذ الذي أنشدا
الصوت ؟ أنت الصوت رددته
«محمود» ، هل عشت سعيداً وقد
أواه ما أظلمها شرعة
«أين يفرّ» المرء ؟ قد قتلها
إلى رحاب لا ترى عندها
ولا ، ولا ، كلا ، ولا لا ، ولا
فهل رضيت الحلّ يا سيدي ؟

إن عزائي أن أراهم غدا
وتلتقي الغاية بالمبتدى
صفاءه ليس له من مدى
قد صرت جلدأ لا أخاف الردى
مضوا ؟ تواروا فرقداً فرقدا
من الوفا أن نعشق الموردا
وبلبل الروض الذي غردا
لحنأ سهاوياً ، ونحن الصدى
غنيت للشعب لكي يسعدا
أن يجهل الشعب وأن يجحدا
واليوم لاقيت جواب النداء
عبداً يقاسي الجور أو سيدا
مما يجرّ النفس أن تحقدا
فإنني أرضاه لي فاشهدا

الكويت

(٧١) جيل التحدي

وقال يرثي الشاعر عبد الله عبد الوهاب
نعمان .

كادت شمس الجليل أن تغربا	وأوشك ينبوع أن ينضب
جيل تحدى الهول مستبسلأ	وصير الحق له مطلبأ
فهل درى الموت وقد غاظم	أي سيوف فلّ منها الشبا؟
أخي أبا مروان ؛ كم هزني	صمتك كم حدّث ، كم أطبأ
وقال : ما الشوط سوى ملعب	لو تسمح الأيام أن نلعبأ
وقال : ما الكل سوى باطل	يذهب ؛ إلّا الخير لن يذهبأ
وقال : بالإبداع مجد الفتى	أما ، أم شرق أم غربأ
أخي أبا مروان نم هانثأ	لا عاتبأ قط ، ولا مُغضبأ
الروض لم تذبل أزاهيره	والحق ما جف ولا أجذبأ
قل للشهيد القيل : إن الحمى	ما خيب الظن ولا كذبأ
ان الدم المسفوك في «حجة»	قد سمّد الأرض وقد أخصبأ
«صنعاء» للرواد مفتوحة	والماء في «ذبحان» والكهربأ

أخي أبا مروان صفحاً إذا كان يراعى في رثائي كبا

أنت مقيم بيننا لم تمت والنور في مشكاته ما خبا
تصغي لك الخضراء «سيوونها» «بيحانها» «صنعاؤها» «كوكبا»
وحدت بالفرحة ما بينها ووحدة الفرحة لن تغلبا
واجتمعا ؛ فلنندع ؛ لا فرق الأحباب بعد اليوم «أيدي سبا»

صنعاء

(٧٢)

على قبر جوته

أنا على قبرك يا شاعري أستلهم الفن وأذكي الشجون
وتعبر الذكرى على خاطري في لحظات تتخطى القرون

أنا هنا جئت من المشرق أزور مشواك بأقصى الغروب
من قال إننا قط لا نلتقي؟ قد جمعتنا خفقات القلوب

أنا هنا حيث ترى مقلتي مجال عينيك النديّ الفسيح
حيث تناجي السفح في رقة وحيث تدعو القلب أن يستريح

هنا أرى السحر الذي ألهمنا وألمس الحسن الذي تيمك
في الأرض، في أبنائها، في السما في كل شيء سره كلّمك

أهيب بالقلّة أن ترعوي عن غيها، والقلب أن يستفيق
فقد كفى الأحشاء ما تنطوي عليه من جرح وحزن عميق

جئتُ وفي قلبي جراح الوجودُ وفي جفوني قلق الراحلِ
أودَّ لو زالت أمامي السدودُ أو تستقرَّ النفسُ في الساحلِ

الحسنُ يا شاعرَ لَمَّا يزلُ كمثل ما شاهدتَ أو أروعا،
والناس كلَّ الناس تهوى العملُ وتمقت الخنجر والمدفعا،

والموكب الفخم الذي يفزعُ قد اختفى والنظرات الغضابُ
لم يبق إلا كلُّ من ينفعُ أو يحملُ الفأس ويبي الخرابُ

بمثل هذا هزموا الماردا وحقَّ للشيطان أن ينهزمَ
بالنفس تسمو؛ بالنهى صاعدا، بالصدق في أفعالهم والشيمَ

(٧٣)

الشهيد عبد الله بن محمد الوزير

وقال يرثي الشهيد الشاب عبد الله بن محمد
الوزير الذي أعدم في حجة سنة ١٣٦٧ هـ /
١٩٤٨ م .

عليك وإلا فالبكاء حرامٌ	وفيك وإلا فالرثاء أثم ،
لأجلك سالت في الأماقي دموعها	وحلّ زفيرٌ في الحشا وضرامٌ
وناح على فرع الغصون مطوّقٌ	وسحّ بهتان الدموع غمامٌ
لقد كنت سيفاً في يد الحق لم يشن	غرازٌ له يوم النزال سهام
وقد كنت أمضى في الأمور عزيمةً	من الليث فيه سورةٌ وعرام
ألا في سبيل الله يا ابن محمدٍ	فكم طاح في هذا السبيل كرام
سبيل «علي» و«الحسين» و«جعفر»	و«زيد» عليهم رحمة وسلام

ولم أنس يوماً سلّطت في صباحه	كلاب على ليث الشرى وسوام
أحاطت به تلك الزعانف مثلما	أحاط بهالات البدور ظلام
وقام مشوقاً للمنايا كأنما	به للمنايا لوعةٌ وغرام
هو الموت أشهى من جنى النحل طعمه	إذا الوغد يعلو والكريم يُضام

أشار إلى «الشيخ» الوقور وقد علا
وطاشت عقول الحاضرين لموقف
أب مثل «إبراهيم» يزجي ذبيحه
فلم يخش «إسماعيل» إلا حزاظة
فما خطرت في باله غير كلمة
أبي لا تخف واصبر فسوف يضمنا
وسار عليه من «علي» جلالة
هناك ثوت في كل قلب كآبة
وناح على «النفس الزكية» مصحف
لئن فارق الدنيا «هلال» فنوره

هناك للموت الزؤام قتام
تفتت أكباد له وعظام
إلى الموت من غلف القلوب طعام
لها بين أضلاع «الخليل» ضرام
تقاصر عنها للمقول كلام ...
جميعاً بدار المتقين مقام
تلوح ومن سيما «الحسين» وسام
وفارق أجفان العيون منام
وحنّ إلى الليث الجسور حسام
لعمرك في أفق الخلود «تمام»

إلى الخلد يا زين الشباب فإنما
يحْييك من آبائك الغرّ عالم

هو الحزن خلف والسرور أمام
ويلقاك بالوجه البشوش إمام

(٧٤)

سفينة قد مات ربّانها

من قصيدة قالها في إعدام المشايخ الذين
خرجوا على الإمام أحمد سنة ١٩٥٩ م ومنهم حسين
ابن ناصر الأحمر وابنه حميد بن حسين .

أين مضى السؤددُ والمفخرُ؟	وأين اين الملك يا «حمير»؟
وكيف ذلّ العرش من بعدما	دان له الأسود والأحمر؟
أين أسود من بني «يعرب»	زها بها «غمدان» و«التعكر»؟
وأسد غاب في ذرى «ناعط»	ومفخر في «خَيْر» يبهرُ
والعرش.. أين العرش في «مارب»	وحوله أسد وغى تزار؟
كأنما «الخضراء» من بعدهم	وقد تولّى عيشها الأخضر
سفينةٌ قد مات ربّانها،	أو غابة فارقتها القسورُ
بكى لها «حسان» في قبره	وضجّ حزناً «تبّع» الأكبر

(٧٥)

الرئيس جمال جميل العراقي

وقال يصوّر استشهاد الرئيس جمال جميل
بصنعاء في رمضان / ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م
ويرثيه بعد مرور عام على استشهاده :

وعلی جبینک تعبد الأصنام؟	حتامٌ يا وطني أراك تُضام
عرش «التابع» معشرٌ أقزام؟	والام يرتفع الطغاةُ ويعتلي
بيد الخطوب تدوسك الأقدام	وتظل يا مهد الجدود مُزَقاً
عامٌ، ويأتي بالفجيعة عامٌ؟	حتامٌ يمضي للرزية والأسى
ولّى تشيع نعشه الآثام،	اليوم بالزفرات عام قد مضى
برجالها الأحرار لا تلتام	ولّى وقد طعن السعيدة طعنةً
جثثُ الأسود كأنها أغنامٌ.	نصبت على الأعواد فيه جهرةً

بين الجوانح زفرةٌ وضرام	«أجمال» ذكرك إذ يعود تعود لي
دولٌ، ولم تُنكس له أعلام؛	عجباً لخطبك لم ترع من هوله
هزأ، وتسكب دمعها الأقلامُ	وتهزّ أعواد المنابر بالأسى
ملكٌ وهم حول الرئيس سوام	خرجوا يقودون «الرئيس» كأنه
نحو المغيب من الظلام ظلامٌ	أو أنه القمر المنير يزقه

شاهت وجوه الظالمين حياله
ومشى إلى الفردوس مشية مؤمن
ورنا إلى دار العدالة قائلاً:
لم يُنسِه الحقُّ الذي من أجله
حتى إذا مثل الهزبر وأحدثت
والموت أرجف والقضاء فأوجفت
وتطلع التاريخ يكتب كلمة
وتهبأ الملك الطهور بمدّه
مدّت إليه من اللثام بوادُر
وسطا على الضرغام، ...
هالاً برزت إليه «إسماعيل» إذ
قالوا تلبس بالجريمة وبحكم
زعمٌ لعمرى يسخر التاريخ من

وبدا الرئيس وثغره بسم
يحدوه للأجل المتاح غرام
«يا مهبط الشورى عليك سلام»
وهب الحياة الموت والإعدام
فرق مضللة، وسُلّ حسام
منه القلوب وطاشت الأحلام
شرف له لو حازها ووسام
من ذي السماوات العلى إلهام
عن مثلها يترفع الأنعام
إذ صار رهن قيوده الضرغام
لا الكف موثقة، ولا الأقدام
ألى الملائك ينسب الإجرام
ترداده، وتقهقه الأيام؛

«أجمال» ما بال العروبة لم تُرغ
سكتت أسود الرافدين وأحجمت
حيث السكوت يعاب والإحجام
و«النيل» لم يظهر أساه تحسراً
حقت مصابك ويلها؛ أم أنها
قد كنت واحداً الذي في صدره
كمن الإباء وعشعش الإسلام
فتكاتك الغراء لا عزم إذا
ذكرت يقاس بها ولا عزام

ومنها:

وبكلّ صدر ثورة وضرام	لا تعجلوا فبكل رأس نزوة
في الشعب حكم أويسود نظام	لا تأملوا في أن يتم لغاشم
وبها إلى تلك الدماء أوام	ومراحل الأحرار تغلي نقمة
لا أرتضيها والرضوخ حرام	تالله أسكن، فالسكون جريمة

سجن حجة ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ

(٧٦)

حافظ وشوقي

ألقاها في حفلة الذكرى الخمسين لوفاتها
بالقاهرة والتي أقيمت سنة ١٩٨٢ م .

حرسا الروض وهو ريان حالمٌ واعدات زهوره والبراعمُ
حرساه؛ جذوره تضرب الأرض ، وأغصانه اللدان النواعمُ
ملء قلوبهما حنين لماضٍ مشرق ، وانتظار خير قادم

سألاني : هل أخلف الروض أم كان له موسمٌ كأغلى المواسم؟
لم أجب بل صمتُ حين تولى الردّ من مقلتيّ دمعٌ ساجم
ويك ماذا عرى؟ أصوح نبتٌ؟ أيما حاصب؟ وأي مدهام؟
أجيوش «التار» عادت و«جنكيز خان» من بينها يدك العواصم
أ«جمال» السفاك عاد إلى الشام؟ يحز الطلى ويفري الجماجم
و«دنشواي» هل «دنشواي» عادت؟ يا لأيامها الطوال القواتم
قلت كلاً ؛ لا ذا ولا ذاك قد عاد ؛ ولكن هناك هول حاطم
حكم الشر ، أو فقل حكم الفرد ، وأصل البلاء فردٌ حاكم .

القاهرة ١٨/١٠/١٩٨٢ م

(٧٧)
يا صديقي . . .

وقال يرثي الشاعر عبد الله حمران :

أنا ميتٌ؛ فمن يقول رثائي	بعد ما غيَّب الردى أصدقائي؟
كيف ارثيهمو بشعري واني	لجديرٍ من بعدهم بالرثاء؟
مثخنٌ؛ كلما رمى الدهر سهماً	وهوى واحدٌ تسيل دمائي،
يا أبا خالدٍ؛ ويعصر قلبي	أن أنادي فلا تحجب ندائي
كلّ شيءٍ يبكي عليك، ولكن	بدموعي أنا، بعظم بلائي
ها هو الهاتف الصموت حزينٌ	مرهف السمع ممعن الاصغاء؛
يرقب النبرة المشعة نبلا	يا لشوقي لنبرة النبلاء؛
قال لي: ما له تغيب ذاك	الصوتُ عنّا؟ أريية في وفاء؟
قد بلوناه؛ فهو كالذهب الإبريز..	في كلّ شدةٍ ورخاءٍ
لم تغيّره نعمةٌ، لم يطأطىء	رأسه للكوارث الهوجاء،
ذرفت دمعها الجبال عليه	وهي رمز الشموخ والكبرياء
سألتنني عن صوته الحرّ إذ لم	يبق في جوفها سوى الأصدا
هزمت في جبال «ردفان» في	حرب الأعادي قذائف الأعداء،
ولقد كان في يد الحق سيفاً	يمنيّ الشّبا، سريع المضاء؛
لم يجامل مستهتراً، لم يهادن	مستبدّاً، لم يصغ للعملاء؛

يمنيّ الهوى، وليس بحرّ كلّ من لم يكن يمان الهواء؟

يا صديقي؛ لم يبق لي الدهر دمعاً	نضبت أدمعي وجفّت بكائي
كم ذرفنا منه لرزيءٍ مقيم	وصبينا منه على إثر نائي.
فإذا لم أنح عليك بدمعي	فالقوافي مدامع الشعراء،
كنت لي واحة أفيء إليها	حين تشتدّ لفحة الرمضاء
وسواي الكثير حولك حشداً	كاحتشاد الظمأء حول الماء
فبئس أسعفته بنوالٍ	وغريق انقذته برجاء..
هكذا هكذا التقى لا جهول	حاقد، أو مثرثر أو مرائي،
أقرب الخلق للإله أناس	صبروا في البأساء والضراء
ثم فاضوا لمن يعول حناناً	كحنوّ الأباء للأبناء،
فإلى الخلد سيدي، وإلى	الجنة بين الأبرار والشهداء.

(٧٨)
المجد للنار

وقال:

حدّثني يا نجوم . . يا أرض يا شمس وقُلْ لي: من أنت يا صرصار؟
من أنا؟ لست تعرفين فإني يا تفاهات ربحك الجبار
قد ذروناك يا رماد هباءً ولك المجد كلّهُ يا نار

(٧٩)

لو..

وله :

لو أنني قد ذكرت الله مجتهداً كما ذكرتك يا فتانة النظر
لكنك أعلى من الأبرار «منزلة» وكنت أعظم مبعوث إلى البشر

(٨٠)
أعلى القمم

وله هذا المفرد :

لا أحب العيش إلا قمةً إن تفت فالموت أعلى القمم

(٨١)

رسالة

بعثها من غزاة إلى كل محارب عربي :

هاك يا نسمة الصباح فؤادي فأنثريه على سفوح الروابي
من مغاني الخليج حيث ربوع القوم . . حتى يحيطنا الصخّاب .
انثريه . . انثريه يا نسمة الصبح بما فيه من منى ورغاب
رفرفي كالملائك الطهر واجري في المغاني كالجداول المنساب .
يعشق الزهر والندى ويشيح الرأس كبراً للعارض التسكاب

عربي أنا؛ وكلّ كريم . . عربي من أمة الأعراب
وأخي في المنى وإن يعرّ خطبُ كان فيه ترسي وظفري ونابي
كلّما شطت الديار هفا القلب إليه في رقّة وتصابي
يا أخي؛ والأخ المقاطع لا ينفك ادنى من واصل الأصحاب
سوف أطوي على ودادك قلبي وأغذي بنوره أهداي
آسياً جرحك الأليم وإن لم ترع حقّي يوماً ولم تدري ما بي؟
فالليالي تعيد كل نقُورٍ وتضم الأحاب للأحاب ،

يا أخي من دم الضمير الذي أهرق عمداً أخط هذي الرسالة
من «فلسطين» وهي صوتٌ مدوّ يصم الناس كلّهم بالندالة
اليهود الذين داسوا الرسائل على أرضها وداسوا العدالة
وأدلكوا على الدناءة في الناس بما أجرموا ألف دلاله؛
وشريك للصل من بارك اللصّ وأعطاه للجريمة آله
وأنا يا أخي وأنت جديران بلومٍ نحني الجبين حياله
ما رأى الناس قبلنا أهل بيتٍ دهمته اللصوص تبغي زواله
وهموسادرون في الخلف يا للعار، يا للغباوة القتالة
ما اختلفنا على كبير يوازي الخلف؛ هيّا . . فحطّموا أغلاله

قل لمن لم يزل يحبك لنا الكيد ويولي اليهود منه حنانا،
يشهد الله أننا ما أتينا منكراً مثلهم ، ولا طغيانا ،
أمن العدل أننا نخذل المسلوب يوماً، وننصر القرصانا؟
يسكن الدار آمنة غاصب الدار، ونأوي الرمال والكثبان؟
أفهيدي شريعة العصر يا قوم؟ كفانا زوراً؛ كفى بهتاناً؟
لا تنم أيها اليهودي إني سوف أبقى على المدى يقظانا؟
سوف آتيك في النهار شواظاً من جحيم، وفي الدجى شيطاناً
وأبي في الثرى يهب غضوباً لأويأ حولك الثرى أفعوانا
والربي والرمال إن جدّ جدّ أصبحت كلّها له أعواناً.

(٨٢)

الناس

وله في قصيدة :

همُّ الناس لا يحفظون الجميل... ولا يشكرون لمسِدِ يدا
فكن في قلوبهم رهبةً لكيما تكون لهم سيّدا
ولا تبين أمراً على حبّهم فيذهب جهدك فيه سُدى
هم الناس ما عبدوا في القديم عظيم النوال كثير الجدى
ولكنهم عبدوا المفزعات، وياتوا لرهبتها سجداً

(٨٣)

أنا في العراق

أنشدها في مهرجان الشعر المنعقد في العراق
سنة ١٩٦٤ م :

آن أن تلثم الشفاه البقاعا بعد أن هزت القلوب سماعا،
لست أنسى أخي وقد هاجه الوجد، فغنى فاطرب الأسباعا،
بعيون المها على الجسر والجسر ببغداد كم أثار التباعا!
وأبي يذكر «العراق»، فيهتز اشتياقاً، ويستطير شعاعا،
يذكر «المذحجي» وهو ينادي في صفوف الوغى القراع القراع
«وابن قيس» وقد تسامق للمجد فبز الأقران كفاً، وباعا،
وأبابة الهوان حين توالوا للمنايا من هاهنا اتباعا؟
ما ذكرنا «العراق» إلا قدحنا قسماً في نفوسنا لئاعا..
ذكريات تقرب القلب للقلب وتدني على النوى الأصقاعا
رددتها الأنسام بين حقول البن، لحناً معطراً ضواعا..
يا لقومي إلام تستمرىء الخلف وتهوى تشتتاً وانصداعا
قهروا كل مارٍ وأجادوا عندما صارعوا الليالي الصراعا..
ليتهم في طموحهم قد أذلوا نزوات النفوس والأطماعا؟
قدست شفرة اليماني تبني أنفساً أو ترد حقاً مضاعا
قدست تجمع القلوب على الخير؛ ولا قدست تثير النزاعا

(٨٤)

تحية واعتراف

وقال يحيى الوفد الكويتي في اسبوعه الثقافي
بصنعاء :

لوتطبق الحروف فيض الشاعر لسبا شاعر وأبدع ساحر
هذه وردة تُزَفّ اليكم وبقايا عبيرها في السرائر
ليس كل الصفاء ما يطرب السمع فاعلى منه حديث النواظر
رحبي يا عرائس الشعر بالوفد هزاز يشدو وفكر يحاور
إن هذي الوجوه من «قيس عيلان» أطلت ومن مضارب «عامر»
«جلت البيد؛ تُنجب الفرسَ الفَذَّ، وتأتي بفارس وبشاعر»
يا أحباءنا ولستُ بناسٍ طيب أيامنا على سفح «حاجر»
حيث ضاقت بنا البسيطة ما من قوة تُرتجي، وما من ناصر
مثل زغب القطا حوالى هذا «حاتم» مطرق وتلك «تماضر»
فنزلنا الكويت أهلاً بأهلٍ واستعضنا مجاوراً بمجاور
نستمد السعود من لطف «سعدون» وجبر الكسور في ظل «جابر»

(٨٥)

عائد من لبنان

وله :

أنا في الروضة لم أقطف من الروضة زهرة
وأنا في النهر لم أحظ من النهر بقطرة،
كل حظي كلما زرتك - يا لبنان - نظرة،
حسنك الأخاذ لو واصلنا ما كان ضره؟
نحن قدسناك أعطافاً، وأردافاً، ونضرة
وخشعنا لك في السر، وأكبرناك جهرة،
أنت يا لبنان لا تبذل للكادح أجرة؛
عائد منك. أجل عدت وفي قلبي حسره...
أذكر «الحمراء» و«الحمراء» في الأحشاء جرة
والروابي الخضر آهات وأناث وزفرة،
لست يا لبنان من يقنع في الحسن بخطرة
دون أن اعتصر الحسن، وأستكنه سره
وأروني في عروقي من شذاه كل ذره.

(٨٦) الجبّال تتذكر

قال ابراهيم : «أنا أغادر صنعاء إلى أرض
الرافدين ، تذكرت آل المنذر بني ماء السماء وهم
يزمعون الرخيل من أرض الجنتين إلى العراق
متذرعين بخراب السد وبمظلمة من بعض ذوي
القربى فقلت :

قلبي مع «بغداد» أم قلبي معي ؟	هي صهوة الشوق القديم تكنها
دنيا القلوب وإن تطاول عهدها	رحلوا عبير السد ملء ثيابهم ،
لم تُحمد اللاواء جرة بأسهم	قولوا لمضطهد القراية عامداً
أنكى من الرد السريع حزاة	السد غاضت في الرمال مياهه
أنى التفت فلا تشاهد هاهنا ،	فلتهجع الأطراف ما شاءت إذا
هيها لا متكلف أو مدعي	تلك الشوامخ من معاقل «تبع»
ما بينها إلا مسافة أصبع	وشموخ غمدان الأبي الأمانع
في الجنتين تفتأوا ، أو بلقع	مهلاً ، فإن البغي مرّ المصرع
كمنت كمون النار بين الأضلع	والأرض تبدو بلقعا في بلقع
أو هاهنا غير الخلاء المفزع	كانت رواجف قلبها لم تهجع

إيه بني ماء السماء سيوفكم ما أغمدت وجباهكم لم تركع

هذا «الخورنق» و«السدير» وهذه الزوراء زاخرة بكلّ سميذع
 «يتوهجون ويطفأون كأنهم سرجٌ بمعتك الرياح الأربع»
 من يُخرج الأقيار عن هالاتها ويقول يا شمس الضحى لا تطلعي؟
 إلّا أكن جسداً فإني هاهنا روح تطوف ، تحوم حول المنبعِ
 «بمحمّد بن يزيد» طوراً تستقي منه السناء ، وتارة «بالأصمعي»
 في كل منعرجٍ أعانق طلعةً هي في كياني في المحلّ الأرفع
 عربية القسمات بين غضنفر متحفّز ، أو عبقرٍ مبدع
 مجرى سوابقهم ، وجرّ ذيوهم ، وعبير نخوتهم ، بهذي الأربعِ
 إن لم تكن للضاد رمز فخاره فالضاد بالأوهام جدّ مضيع !

(٨٧)

قاضي

وله:

يا أيها الناس قفوا واسمعوا صفات قاضينا التي تطربُ
يلوط ، يزني ، ينتشي ، يرثي ، ينم ، يقضي بالهوى ، يكذبُ

(٨٨)

درويش

أنشدها في مهرجان الشعر العربي المنعقد
في تونس عام ١٩٧٣ م :

لو دوى المصنّع لم يهدرُ فمي بالكلمات
أو جرى النهر لما أجريت فيض العبرات
ولما مزّقت بالأظفار أحشائي ولا باللكمات
دونك الآهات فاسمّعها وخذ منها وهات

بين جنبي عنود مشخن القلب طعيْنُه
الجوى اللافح والآهات والشعر أنيْنُه
هذهدهوه بالرؤى تغمضُ على الشجو جفونُه
كل قول جهوريّ الصّوت يُسليه، يعيْنُه

ودعوا المصنّع والمدفع عنهم يتكلّم
رجل الفولاذ كالفلّاذ لا يشكو جوى؛ لا يتألّم
وإذا ما نطقت كف امرئٍ فالخرف أعجم
وحّدوه.. فلقد افلح من صلّى وسلّم

أوشكت جذوتنا يا صاحبي أن تجمدا
غننا لحناً حاسياً يهزّ الجلمدا...
هاته رفضاً متى ما شئت أو قل ما بدا
أنت يا منشد لولا أنت متنا كمدا!

الدجى يسكب في الأذان الحان الصوامع،
والكرى يمزج بالفتنة أحلام المضاجع...
لا شرع يرعش الماء، ولا همس مزارع
فاطميني يا خفافيش، ونقي يا ضفادع

ليس منا كلّ من مدّ إلى الأرض يدا
ليس منا كل من فكّر أن يبني غدا
كلّنا في ملكوت الله نطوي الأبداء
كم قطعنا - دون أن نرفع رجلاً - فدفا

ما ترانا كيف نهتّ فتتهزّ المنابر
وترى الشارع بالنشوة كالبركان ثائر
نحن فجّرناه وجداناً، أكفأ، وحناجر
نفحات قدسيّات وأحلام مشاعر

نقضم النّار بلا خوف، ولم نقضم سوانا
فتلاشنا.. تلاشنا، وحلقنا دخانا
وأتيننا ننشد الشعر لتثبّت خطانا
ثبّت الله خطانا وهدانا وأعانا!

مرّ يومي معرضاً عني بتيهٍ وبكبرٍ
وعن الأمل أنا ثرت على الأمل بشعري
من أنا؟ أين أنا؟ أين مكاني؟ لست أدري
أنا درويشك يا رب، وما غيرك ذخري
وكفاني؛ أنني أصبحت لا أجهل قدري

ويحه لم يستجب رأسي، ولم تسعف يدي؟
أتراه الداء - يا للهول - داء الأبد
لا تقولوا قد سرت رعشته في ولدي
ودعوني أزرع الآمال في دنيا الغد

تونس / ١٩٧٣ م

(٨٩)

قبلة الشموخ

ألقاها إبراهيم في مؤتمر الأدباء ببغداد ١٩٨٠ :

ما جئت مغترباً إلى بغداد
لم تشتعل رثائي من حرّ النوى
وافيتُ من مهد الأبوّة حاملاً
ما من هوى يرجى وما من مطلب
لا بالكلام فقد بلونا أمره
ما زادنا إلّا شتاتاً ؛ إنّه
إني أقول لكم وأنشد بينكم
إن تكّد موهبة الشعوب فإنّها
من لي به حرّاً يفيض نباهةً
منح السفينة قلبه يقتادها
الموج يعبث بالشرّاع ، فمن لها
إن العراق ينوء في أعبائه
أنّي ينام الحر ملء جفونه
فلتسمحوا لي أن أقبل عنكمو
بجبين قاداته شموخ الضاد

١٤/٧/١٩٨٠ م

(٩٠)

الشاهد

وكتب ابراهيم : «الشاهد في اليمن ما ينصب
على قبر الميت ويكتب فيه اسمه وبعض مميزات ،
وقد أهديت هذا الشاهد للشهيد العربي في العراق
وأنا أطوف حوله» :

عربٌ هذا شموخ العرب	أنّه «سعد»، و «معلي كرب»
إنها شمسُهُم ما غربت	انه نبعمو لم ينضب
أيها الناس هلمّوا وانظروا	فهنا يرقد أحفاد النبي
ان في الطف «حسيناً» واحداً	وهنا ألف حسين عربي
قسماً ما «الشمر» إلا حاقد	وإذا شئت فرجعي غبي
يقتل الصبية عن عمدٍ ولم	يذر أن الله في قلب صبي

(٩١)

عبلة

أو كاد يذوي بين اضلاعي	قد جدّدت لي عبلة ما ذوى
ومنطق عذب إيقاع	بمنظر حلّو يثير الجوى
من قوة تسبي اشباع	وخلف ذا أو ذاك ما لا يرى
بالسحر يا عبلة أوجاعي	كلاهما السحر فلا توقظي
من مضمض الحب، فلا داعي	كفى كفى ما قد تحملته
الكويت ١٩٧٧ م	

(٩٢)

الذخر والمعتمد

أنشدها الإمام أحمد وكان لا يزال ولياً للعهد
وأميراً على لواء تغز سنة ١٣٦٢ هـ :

مَنْ لي - وقد أحبيتهم - أن يعلموا
كم بتّ أشكو للظلام صبايبي
لم أدري حين يعودني تذكّارهم
تالله لا شيء أمر من النوى؛
يا مَنْ رضى بهم لقلبي قبلةً ،
أنتم لعمر الله بين جوانحي
ينتم فلا أدري أقلبي بالدُّنا
طُمست محاسنها وغاض بشاشها
أنتم رياحين الحياة بعدتم
هذا فؤادي ، هذه نفسي على
ما لي سوى قلبي الجريح أذيبه
ومدامعٍ حرى تسيل صبايةً
لا تحسبوا أني شكوت وداكم
والله لو سكنت بلابل لوعتي
أني بحبهم معنى مغرم؟
وأذوب شوقاً والأحبة نوم!
ألظى تمشت في عروقي أم دم؟
إن النوى للمغرمين جهنم
ولكل قلب في الهوى متيمم ،
معنى من النور المين مجسم ،
برم؟ أم الدنيا به تبرم؟
وبدا لعيني وجهها المتجهم
عني ، وأنتم ثغرها المتبسم
أناركم - شعر يُصاغ ويُنظم ،
لكم ، وأرجو أنه يرضيكم ،
فوق الحدود ، إذا جرت ذكراكم
ضجراً به ، أو أنني متندم
من بعدكم - لعرفت أني مجرم

هذا نصيبي في الحياة فإنها منح توزع أو حظوظ تُقسَّم
حظي من الدنيا الوفاء لصاحبي مهما يكلفني الوفا ويَجَسَّم؟
وأغض عن عوراء كل معاشر علماً بأن أبا المعاشر «آدم»

وأخص بالتعظيم مولاي الذي ما زال يكبر في النفوس ويعظم
ذخري ومعتمدي لكل ملمة والآخر المرجو، والمتقدم
أنا لا أخافك يا زمان؛ فإن لي بداراً يُضاء به الزمان المظلم
أدنى التفات منه يكسر جحفاً من جيشك الباغي العنيد ويهزم
من لم يكف عن الترنم باسمه قلم، ومن ترداد مدحته فم
شادت له الأخلاق صرخة محبة في كل قلب ركنه لا يهدم

الشعب بعد أبيك لم ير واحداً في الناس غيرك من به يستعصم
ما لاح في «اليمن السعيد» مؤمل إلا وأنت أجل منه وأعظم

مولاي؛ إني قد لقيت شداً لكن ذكرك في الشدائد بلسم
حسبي رضاك؛ إذا رضيت فإنني لا أشكي سوءاً ولا أتألم

(٩٣)

أنتَ كما شئتَ

وله من قصيدة قديمة :

أنتَ خلف الستار رعبٌ متى ما شئتَ يوماً ، وإن تشا كنتَ حُبًّا
فتواری عن الجفون وإلاَّ حولتك الجفون ماءً وتربا !

(٩٤)

حَسَّانُ أَوْ سَلَمَانُ

وقال وأنشدها مهنتاً للإمام أحمد بعيد فطر سنة
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م عندما كان أميراً لتعز :

ما باله في حنايا الصدر نشوان في كل يوم له شجؤ وأشجان ؟
قلب سقته الليالي خمره فصحا من حوله كل قلب وهو سكران ،
لا تطلبوا منه دنيا غير خاطرة
في باله إنه بالشعر ملآن
يميد للفرّ إذ يذكي صبابته كما تميد لعصف الريح أغصان
والذكريات إذا هاجت به فكما تجاوبت في فيافي البید غربان

يعيش في هامش الأيام ما عرف الدنيا ، وما زال يمشي وهو حيران
إلا خيالات أوهام يصورها غير الحقيقة إحساس ووجدان
يا قوم ؛ إن حياتي كلها حلم وانني من عجيب الأمر يقظان
وربما كانت الدنيا بأجمعها حلما سترويه أجيال وأزمان
هو الوجود ؛ ولكن كله عدم وإنّ اضعف شيء فيه إنسان

يا ويح قلب عميق الحزن ليس له
لم يهو إلا بطولات يشاد بها
أو عبقرية حرٌّ إن هي اكتفت
من كل ما هو فوق الأرض سلوان
للعلم ركن ، وللاخلاق بنيان
امراً بدا وعليه لاح إتقان

وجّه فؤادك يدنُ كل مبتعدٍ
أو لا فتم عن أمور انت مشتغل
مولاي اجرك عند الله مدخرٌ
تعبت كيما يذوق العيش ذو سغب
وهل هنالك مثل الجود منقبة
مولاي لامست جرحاً طالما غفلت
فقمتم تمنحه الاسعاف من كثب
فحظّه منك عطف غير منقطع
إن لم تكن أنت من يبغي الشفاء له
مولاي إن عيون الجليل قد شخصت
ان لم يكن لسواه فيه سلطان
بغيرها ؛ إن عقبى السعي خسران
إذ لا يقوم بما أسديت شكران
طاو ، وكى يتردى الثوب عريان
بها يؤمل من ذي العرش غفران
عنه عقولٌ وصدت عنه أذهان
كيما تهذهد آلام وأحزان .
أما سواك فإهمال ونسيان
فمن؟ وهل يرتجى في القوم إنسان ؟
اليك ؛ إذ أنت للاسطول ربّان

أظلّنا العيد فالأنوار ساطعة
تلك الظواهر تبدو وهي زاهية
إنّا لنفخر؛ إذ نحن الذين بقوا
نحن الذين لغير الله ما سجدت
أو لا فقل لي متى خارت عزائمنا
أنى التفت ، وكل الشعب جذلان
لما اختفى في نفوس القوم عنوان
رغم الحوادث لا ذلّوا ولا هانوا
جباهنا ، ولغير الله ما دانوا
واستعبدتنا من الأعداء تيجان ؟

فطر بنا- أيها المولى- الى فلك
ومرّ لكىما تباري للعلا همم
فلن تقصّر عن شأن العلا فئة
والناس تشهد والتاريخ إن لنا
عالٍ تقاصر عنه الإنس والجان
وكى تطير إلى الغايات عقبان
أضحى لها «تبع» جداً و«قحطان»
مجداً تليداً له بين الورى شان

ودمت يا خير من يرجوه ذو أمل وخير من أنجبته اليوم «عدنان» .

مولاي إن قوافي الشعر قد عجزت عن حمله مثلما يمليه وجدان
ولا أبالي إذا ما لم أجذ فأنا إن فزت «حسان» أو أخفقت «سلمان»

(٩٥) عواطف

وله وأنشدها أمام الإمام أحمد عندما كان ولياً
لسعهد في شهر ذي الحجة / ١٣٦٣ هـ /
١٩٤٤ م :

وحولها حمتُ كي أمتاح ألحاني	قدسية الحبّ منها صغت أوزاني
إن لم يذب فيه قلب المغرم العاني	والشعر لن يخلب الألباب رونقه
منيتُ إلاّ بابعادٍ وحرمان	يا من أذبت فؤادي في هواه وما
قلبي ويرميه من آنٍ إلى آن	ما زال يصطاد بالآمال مجتهداً
بين الجوانح آلامي وأحزاني	حتى ذوى زهر آمالي وأعقب لي
رجوعها يتنزى العاجز الفاني؟	أهذه هي أيامُ الصبا وإلى
عواطفني نحوها يوماً ووجداني ،	فلو بلغت قصارى العمر ما نزعت
قلبي يذوب ، وجفني دمعته قانٍ	ماذا؟ سوى أنّي حرى يكاد لها
على المدى ، وهو لا ينفك ينساني	وصاحبُ أنا لا أنفكُ أذكره

عوالماً ذات أشكالٍ وألوانٍ	هذا هو الحب ؛ لا ينفك يخلق لي
وحدي وللناس حولي عالم ثاني	دنيا وعالم أشجانٍ أعيش به
دعني أعش؛ لست من همي ولا شاني	يا موقظ الفتنة العمياء مجتهداً ،
مباركاً لك في مالٍ وولدان	وأنت لا زلت ياذا الجاه في دعةٍ

نفسى الخلية عن دنياكمو، ولها
لذلك لم تطو في طياتها حقاً
منها منادح من شجور وأشجان
على الزمان، ولا بغضاً لإنسان

لي جنة شيدتها لي ملائكة
لم أدر إلا بأنّي صرتُ مُفتنّاً
بنات عبقر في أرجائها ولها
أروم أشدو بما شاهدتُ من عجب
ولو أطاع لأبدى في سلاسته
وأطرق الدهر من ترجيعه دهشاً
هنا هنا ضجة كبرى، وعاطفة
أو ربّما هي من إبداع شيطاني
بحسبها الفذ عن إنس وعن جان
رجع غدا ملء أفكاري ووجداني
أثناءها غير أن الشعر عاصاني
سحراً يعيث بالباب وأذهان
مستعرضاً سير أجيال وأزمان
تطغى وثورة بركان ونيران

مولاي ؛ لولا حنانك منك لاشتعلت
مولاي ؛ كم أنا مسرور ومغبط
وحين أغدو وآمالى معلقة
هربت إذ خفت عفريت الزمان وما
نجوت منه وقدماً كنت في يده
لذلك مولاي قد أثرت قربي من
ولست وحدي من أثقلت كاهله
من كان يغمط ما أوليت من نعم
لما محضت لك الإخلاص بارك لي
وصرت لم أخش سوء أبل أعيش كما
يا حسننها من حياة لا ينغصني
إن عشتُ عشتُ على عزٍّ ومكرمة
نفسى بنار صباياتي وأحزاني
إذ أنت وحدك بعد الله ترعاني
جميعها بك ؛ لا قاص ، ولا داني
وجدتُ غيرك منه اليوم نجاني
شاةً تعذبها أنياب سرحان
مغناك عن قرب آبائي وإخواني
كلّا ؛ فكم كان أشباهي وأقراني
فها أنا اليوم قد أبديت شكراني
ربُّ البرية في يُمني وإيماني
أهوى وأمل في أهلي وأوطاني
فيها ضميري ولا عقلي ووجداني
أو متّ صرت إلى روحٍ وريحانٍ

وينجي ؛ فماذا عساه كان يحدث لو
 إذن لعشت شريداً في الحياة كذي
 لا نظرة من أخي عطف يزول بها
 كالغصن يذبل كالطير الغريب إذا
 أطعت بعض أصيحابي وخلاني ؟
 بلابل قلق الأحشاء حران
 حزني ، ولا صاحب بالبشر يلقاني
 رمى به البين عن صحب وجيران

حلت مولاي قلباً كم يحن إلى
 قلباً تتيم بالعلياء ؛ إن له
 دوماً يحن إلى غوث اللهيف ، إلى
 وتارة ربما يقسو ومقصده التأديب والزجر ، شأن الوالد الحاني
 لذاك ما رame بالسوء ذو سفه
 فعل الجميل ويهوى كل إحسان
 بها صباة مشتاق وولهان
 نصف الضعيف ويعفوان جنى الجاني
 إلا وآب بخذلان وخسران

لم أنس مولاي لما قمت محتسباً
 وقفت إذ ذاك كالماء الزلال وهم
 في مجلس فاق قدراً في بساطته
 هناك صفقت الاملاك من طرب
 ما الملك يخطر في الايتام مفتقداً
 بالأمس بين أخي بؤس وحرمان
 لديك ما بين عطشان وهفان
 مقام كل عظيم القدر والشان
 وغبطة وتلاشى كل سلطان
 كالملك يختال في خز وعقيان

مولاي عفت هوى الدنيا وزخرفها
 حسبي فؤاد بحب الله ممتلىء
 وبعد ذلك لا ألوي على أحد
 وربما هي أيضاً ليس تهواني
 وحب أكرم مخلوق وإنسان
 سوى الذي دون خلق الله آواني

(٩٦)

في عالم الشعر

وقال يهنئ الإمام حينما كان أميراً بتعز وألقاها
أمامه يوم عيد الفطر سنة ١٣٦٣ هـ /
١٩٤٤ م :

شاعرٌ بات سادراً في مكانه مُصغياً لاستماع همس جنانه
تارةً للحياة يصغي ، وطوراً لصداها يجيش في وجدانه
بات يوري بواعث الفن حتى هاج فيه الخفي من أشجانه
عجباً منه شاعراً ، وهو في كل أوان يهيم في وديانه ..
يحسب الشعر نازحاً قد تولى عنه ، وهو الغريق في طوفانه

إيه يا شاعر انتبه ها هو الكون غدا منصتاً إلى فنانه
فتنقل ما شئت في جوّه الرحب ، وحُم كالقراش حول جنانه
إنما الكون مصحفٌ أنت يا شا عرقاري الجلال من تبيانّه ،
طرّ مع نسمة الصباح ، وعانق كل غصن يمس في أفنانه
وتنسّم ما شئت من عبق الأزهار ، واجنّ الجنيّ من ريحانه
وتسرّب إلى قلوب المسحّين بنشر الربيع في إبانّه
وتلطّف وحيّ أسرى «كيويد» وطف كالنسيم في أسجانه

فهناك القلوب كلمى ، هناك النار تطغى ، هناك وخز سنانه

ثم حلق يا شاعري في سماء الشرق من شامه إلى بغداده
وترنم بمجده يوم أن كان عزيزاً يُهاب في سلطانه
وعلى نوره سرت أمم الغرب ، وأرسي الجلال في شطآنه
غمر الأرض رحمةً ، ملأ الدنيا حناناً يفيض من إيمانه

كان هذا .. من قبل أن يصبح «الغرب» قويّ النفوذ في أوطانه
آه كم من مصيبة وجه القوم إليه ، فحطمت من كيانه
ولعمري لقد طغى الغرب حتى ذاق مرّ العذاب في طغيانه
أجج النار للضعيف فما كان سواه المذاب في نيرانه
هذه والآله غاية سوء ، وقفت عندها خطا شيطانه
أين ذو الرأي والنباهة والحكمة والمُلهمون من سكانه ؟
رب ذي فطنة تحال كنوزاً دُفنت للعباد تحت لسانه
يحسب الخير في يديه فلما هتف الشر كان من أعوانه

إيه يا قوة وراء الليالي غبت عن فكرة الورى وعيانه
وقف الكون في يمينك طفلاً ليس يدري الشمال من أيمانه ؟
سقتّه جاهلاً إلى موضع لم يك من سؤله ولا من شأنه
طالما فر عنه لم يأل حمداً في حضاراته وفي عمرانه
ووراء النعيم يخطر فيه ، ووراء الكثير من عقيانه

فتحت للشقاء باباً وألقت أسراء النعيم في أحضانه
هتف الفيلسوف يبغي نجاةً من ضجيج الزمان من غليانه

وانبرى يشرح السعادة للناس جميعاً بسحره ، ببيانه
فتلاشى أنينه في خضم صاحب كالجحيم في طغيانه

وطني ؛ لا عليك قد صانك الله وألقى عليك ظل أمانه
لك هادٍ من نوره ، لك سيفٌ يدفع السوء عنك من قرآنه
لك يا موطني سراً عليهم رضي الله في قديم زمانه
هم دعاة الإله فينا ، وهم ما برحوا اليوم حارسي أديانه
حملوا مشعل الهداية للخلق وليل الضلال في عنفوانه
كل ليث منهم يدافع عنا كدفاع الكريم عن صبيانه
يثبُّ الدهر بالخطوب وهذا «شمس» دين الإله من أقرانه
جاءنا العيد ؛ نوره من محياه مضيئاً ، ولطفه من حنانه
أهو اليوم بشره غمر الناس جميعاً ، أم ذاك فيض بنانه ؟
لا لعمري فمن شمائله كم .. كان عيد لنا بغير أوانه
لم يزل يمنح الجميل إلى أن حسبوا العيد فاض من إحسانه

أيها المصلح العظيم إذا ما وقع الشعب في عظيم امتحانه
أنت في المحل غيئه فإذا ما كان يوم الوغى فليث عوانه
آه لو تسعد القوافي فأشدو ذاكراً ما بذلت في رفع شأنه
ما تجرعت من عناءٍ إلى أن زال عنه الكثير من أحزانه
غير أني عجزت عن ذا وشعري ليس في وسعه ولا إمكانه
وقصارى مناي في مدح مولاي قبول المديح من «حسنانه»
إذا ما كبا جواد القوافي فقبول الولاء من «سلمانه»

(٩٧)
أصداء رمضان

أنشدها وليُّ العهد (الإمام أحمد بعد عام) في
٦ / شوال / ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م بتعز :

أوتكن إن شاءت الدنيا سرابا	لتكن كالماء للصادي شرابا
أنا من دنيا الوري أسمى جنابا	لا أبالي خيرها من شرها
خيرها زهواً ، ولا الشر اكتسابا	سَمُجَتْ عندي فلا يكسني
يرقب النعمة ، أو يخشى العذابا	فكرة عاش لها قلبي فلا
ما إليه وجه النفس طلابا	ولكل مثل أعلى إذا
يحتفل خالف أهلاً وصحابا	عاش في الدنيا كما يهوى ولم
دعه حاز النصر ، أم لاقى التبابا	فدع السادر في أهوائه
طلما لذ له يوماً وطابا ؛	لا تعنّفه على الأمر الذي
غاية تسعى لها العمر طلابا	إن خيرالك من تعنيفه

يتحرى في مبادئه الصوابا	غلب الأيام والدهر فتى
ويحب المجد يأتيه غلابا	لا يحبّ المجد سهلاً سائغاً
للعلا بالجد والإقدام بابا	واليمانون الألى كم ولجوا
عالمٍ معظمه كان خرابا	رفعوا ألوية العمران في

هذه آثارهم تخبرنا
«بلدة طيبة» كانت لهم
إذ أهابت ربة العرش بهم
اليمنون حوى تاريخنا
تخبر الأخبار عنا أننا
صدع الحق فقمنا دونه
حين نادانا إليه المصطفى
ونفضنا اليوم نبي مجدنا
شعبنا يرنو اليه مثلما
أيها المولى الذي قلّدنا
إن شعباً أنت باني مجده
فارفع الصوت وأسمع أمة
حقق البغية من آمالها
فهي من غيرك ترجو مطلباً

انهم قد جعلوا الإتقان داباً
جنة في السلم والهيحاء غاباً
واستفزت منهم الأسد الغضاباً
منتهى السؤدد والعلم اللباباً
أسرع الناس إلى الخير جواباً
نبذل الأرواح شيئاً وشباباً
فأجبتنا صوته لما أهاباً
تحت تاج طاب فرعاً وانتساباً
يرقب الملاح في الأفق الشهاباً
مكرمات لست أحصيها حساباً
لهو الأولى بأن يرقى الصعاباً
عن سوى صوتك تزور وتاباً
أمل الأمة لولاك لخاباً
كالذي في الحرّ يستسقي السراباً

قمت يا مولاي تأسو أكبداً
قمت تكسو عارياً ما تركت
آه ما أروعها من وقفة
أقبلوا نحوك كالسيل إذا
من عجوز ظاهر البؤس دنا
وفتاة ما درت تطلب من
وصغير ما له غيرك من
فتفضلت عليهم بالذي
ان هذا هو العيد إذا
فابق للأمة تهدي حائراً

بيننا أضرمتها الجوع التهاب
قسوة الدهر له إلا إهاباً
بينهم إذ قمت لله احتساباً
ما أق ينساب في الأرض انسياباً
منك فازداد من الخير اقتراباً
كرم المولى طعاماً أم ثياباً
راحم يرجو من الله الثواباً
سوف يجزيك به الله مآباً
ظنه الناس طعاماً وشراباً
أيها المصلح ، أو تبني خراباً

(٩٨) مشروع قصيدة

في يوم ٣/١٠/١٣٧٠ هـ وصلني إلى معتقل «قاهرة حجة»
خطاب من الشاعر ابراهيم الحضراني - وكان قد أطلق سراحه
وسافر إلى تعز ، وبما ورد في الخطاب قوله :
«حاولت أن أنظم قصيدة استقبل مولانا أمير المؤمنين بها
فلم يُفتح عليّ بشيء سوى أبيات في أولها لا تمس الموضوع
الذي أريد أن أتخلص إليه وأولها» :

نحو السماء أمدّ كفي خاضعاً	متظامناً لقضائها متواضعاً
نحو السماء فقد أنى للجوانيحي	ان تستقر بلابلأً ، ونوازعا ،
تاهت خطايي بهممه لا ينتهي	وفنيت فيه تأوها ومدامعا ،
ولطالما فتشت في جنباته	كيما أصادف للحنو منابعا
أما الصديق فقد حفظت حقوقه	وغدا لديه عظيم حقي ضائعا
ولكم لذكر الخلّ بتّ مسهداً	دامي الضلوع ويات عني هاجعا
ولكم يجزعني الأسى ويمضني	أن المحض الودّ الأكيد مُصانعا
والنفس إن فقدت حنو اليقها	فقدت لغلتها اللهيقة ناقعا
ورأت بشاشة كل عيش عابساً	والآهلات من الأنيس بلاقعا

ثم قال «هذا : - ولقد كنت أريد أن أتخلص إلى المديح
ولكنه صعب عليّ ، وأنا الآن أفكر في تبديل الروي والقافية
فعسى أن تتحرك الفكرة» .

(٩٩)

يا قلب كم سرّك لقاء الحبيب

ومن حميمات ابراهيم التي تغنى بها في
صنعاء ، قوله :

يا قلب كم سرّك لقاء الحبيب	وكم قد استأنست قُربه؛
فكيف لا تصبر عليه حين يغيب	ويجتمع بأهله وصحبه؟
نسيت يا قلبي وأنت اللبيب	أن الحياة هبة هبة
ساعه نصيب فيها وساعه نخيب	وهكذا طبع المحبة
عاذ كان يمكن رجعتك من قريب	الفتهم والإلف حنّه
واليوم تبحث بعدهم عن طيب	من بعدهم ماشي أطبه
الصبر يا قلبي ولو هو تعيب	بالصبر تجلّى كلّ كُربة
وهم يقولوا كلّ شيء بالنصيب	يا بحث من خلّه يحبّه

(١٠٠)

مع مغترب جديد

مرحباً، مرحباً آنست يا خير قادم
من «تعرّ» أو رُبي «صنعاء»؛ سقّتها الغمام
أو مِنْ «الوادي الأخضر» وأرض التهايم
هاتِ علمك؛ قَدْؤِ سِنَّةٍ لِمَنْ جَا يَعالِمُ

كيف حال الوطن؟ كيف الحبايب ولضحاب؟
نحن غبنا، وما غابوا، ولا ذكرهم غاب،
هم معانا، وياما قلب من ذكرهم ذاب،
ذاب من لوعة الفارقة، وكم دمع ساجم.

قال؛ والقول من لِسِنَةٍ لَهُ اشكالٌ والوانٌ
مثل صَفْوِ الكَرغ، أو مثلها «قوس علان»:
الجماعة بخير، والكل مشتاق وولهان
ما يهبّ النسيم، أو ما تنوح الحمائم

الحبيب في شجن.. من خِلّ ناسي عهوده

والجَرَبُ صالِبَةٌ، يا مَنْ يَحْنَجِنْ رعوْدَهُ
كُلَّ مَنْ لَهُ صديقٌ، واحنا لنا الله، وجوْدَهُ
سافروا سافروا؛ واحنا لِمَنْ يا عوالم؟

قلت: واحنا علينا الله داري وشاهد
ما نسينا حبايِبُنَا ولا يوم واحد
والقلوب - مثلما قال المثل - هي شواهد
سَلَّمَ الأمر لَهُ فالله داري وعالم

الصغير والكبير متحلبطين في قيوده
ما حَدَنْ مِنْهُمْ يوصلُ إلى اى يريده
والخلاصة نساله: كل غايب يعيده
والبقيه تَكَمَّلُها إذا كنت فاهم.

الكويت ٩/٤/١٩٧٨ م.

(١٠١)

وعندما وصلتني هذه القصيدة جاريها فقلت
مكَملاً كما طلب:

الغريب قد لقي أهلاً بأهل وجيران ..
بعد جيران، واعتاض بالخلّ خلان!
كيف يرجع؟ وأين يرجع وقد كان ما كان؟
لا منازل، ولا أحباب، ولا روض باسم.

والتذكار - يا غربة دموع التذكار
بعد من تاه، أو من مات مشتاق إلى الدار
والذي ما دروا أين سار، ولا منه اخبار
كلها اشجان إن هاجت جرى الدمع ساجم

يا صديق الصبا مثلي ومثلك له الله،
ما بقي لي ولك إلا الحنين والتأوه
والنغم والقريض، والكاس والصيت والجاة
في العوالم؛ وأما في اليمن فانت فاهم!

بروملي ١٢/٥/١٩٧٨ م

(١٠٢)
شموخ الضاد

سألوني عن العراق وقالوا: إن فيه نزاحم الأضداد
قلت كفّوا عن العراق ففيه يا بني يعرب شموخ الضاد

(١٠٣)

صلي .. أو فصدي

من قصيدة قالها في أثناء الحرب العالمية
الثانية :

صلي أو فصدي كيفما شئت فافعلي	لعمرك إني عن هواك بمعزل !
أمثلي يبيع الغانيات فؤاده	لتقتله قتل البريء المغفل ؟!
تصفحت أحوال الحياة ورزتها	وشمت بروقاً في الوجود تلوح لي
فلم أر فيها مطمئناً سوى امرئ	بيتُ بقلبٍ عن أباطيلها خلي
بمقدار ما يحسو الفتى من زلالها	تجرعه من سمها كأس حنظل
ألم ترَ أبناءَ الفرنجة بعدما	حسوا كأس دنيا بالنعيم معلل
لقد صبَّ سوط الانتقام عليهم	فيا لمصاب حلّ بالقوم معضل
فكم روضةٍ للهو صوّح نبتها ،	وكم موضع عن ساكنيه معطل
وكم واقف في سفح باريس قائل	«قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل
وكل بناءٍ شاده الله وحده	تزلزلت الدنيا ولم يتزلزل

ويقول ابراهيم إنه تخلّص في القصيدة إلى مدح
الإمام يحيى حميد الدين وإن الإمام أجاب عليه
وحول له من عامل دمار بخمسة أقداح طعام .

(١٠٤)

شكوى إلى عميد الأدب في كلية القاهرة الدكتور طه حسين في يوم ذكراه

أقامت جامعة «المنيا» مهرجاناً بمناسبة مرور
مائة عام على ولادة الدكتور الأديب طه حسين ،
ومثل اليمن في المهرجان شاعرنا إبراهيم وقد
استهل حديثه بقوله :
تحية اليمن وإكبارها لعميد الأدب العظيم
د. طه حسين ، وتحية اليمن وإكبارها لمصر التي
تنجب العظماء ، إني أعتبر نفسي أيها السادة من
أطول الناس صحبة لطف حسين ، وستعجبون وأنا
من اليمن المعزولة آنذاك ، ولم أعرف مصر إلا في
آخر «الخمسينيات» فأقول إذا عجبتكم ما قاله
شوقي في مصر :

ومصر كالكرم ذي الإحسان؛ فأكهة
لحاضرين وأكوابٌ لبادينا
لقد عيّتُ من أكواب «طه حسين» كما عيّت
من أكواب مصر؛ وما مصر إلا طه حسين، وما
طه حسين إلا مصر. ثم أنشد :

من منبر اليمن السعيد من منبع الضادِ التليد
أهدي لروحك ما تفتح في ربها من ورودٍ

وتلفَّتْ؛ ماذا ستشُدُّ؟ ما ادخرت من القصيدِ؟
سأذيب وجداني له هل بعد هذا من مزيد؟
هو بعض ما أعطى، وأعطى للقريب وللبعيدِ
يا رائد الفصحى؛ شكايه موجع مضئ عميدِ
السَّاحِ بعدك يُستباح؛ بلا رقيب أو عتيدِ
والطَّمْطَمَاتِ عَلَتْ وألوت بالخواجز والسدودِ
ويلي على الفصحى ووا لهفاه للنشء الجديدِ
سَلُّهُ عن «الْحَدَقِيَّ»، عن «بَشَّار» عن «عبد الحميدِ»
مَسْحُ وَلَكِنِّي أقول لأمتي لا لن تبدي
قد تُمسَخ الأفراد قد يتشتون بكل بيدِ
والخُلْد للْفَصْحَى، وللأدب الرفيع وللجدودِ

مارس / ١٩٨٩ م

شعبان / ١٤٠٩ هـ

(١٠٥)

فرحتان

ألقاها ابراهيم في مهرجان «المربد» عام

١٩٨٨ م :

شيئان ردّا لي طموح شبّابي
قوميتي وهي العراق، ومولدي
هذا ثبات لا يلين؛ وهذه
فلتبسّمي دنياي أو فلتعبسي؛
يابن العروبة في العراق نحيّة
من أرض «ذي زن» معاقل «مارب»
لم يُنسها مرّ الزمان أو اصراً
«الفاو» أين «الفاو» ننشق تربه
ونزفه للأمهات هديّة
قالوا؛ وها أنا ذا أقول بأننا
لا حكم فيها للشرائع إنّما
فليبق سيفك في يمينك مصلتاً

مسحاً عذابي بعد طول عذابي
حيث التقى الأحباب بالأحباب
رحم تدانت بعد طول غياب
أنا قد أخذت من الزمان حسابي
بالحب، بالاكبار، بالاعجاب
وجبال «أرحب» أو سفوح «رحاب»
ما بيننا، وتتابع الاحقاب
عطراً ونحمله على الأهداب
«بزيد» أو في سورة «المنتاب»
في غابة؛ يا سوء طبع الغاب
للظفر مرهوب الشبا والنّاب.
ما دمت بين أسودٍ وذئاب

(١٠٦) يا بني العمّ

قالها ابراهيم عندما استفحل الخلاف بين
الفلسطينيين وقاتل بعضهم بعضاً .

جلُّ أن أقول مات ضمير وتوارى عقلٌ وغار شعورٌ
إدعاء الإنسان تمجيده الحقّ هراءً وباطلٌ وغرورٌ،
أنت لست الذي على الحقّ إن لم يك في كفك الردى المسعور
«مجلس الأمن»!! يا لمهزلة العصر، ويا للأحكام كيف تجور؟
أيّ أمنٍ والأرض تجار بالشكوى؛ دماءٌ وأدمع، وقبور؟
أيّ شيءٍ أقوله عنك يا قدس؛ كلامي مهما يطلّ تكرير؟!
لُغتي هاهنا شواظ من النيران مشبوبة، وصوتي زئيرٌ.

يا بني العمّ؛ والحديث شجون كاد عن حمله تضيق الصدورُ
قد كتمناه في الضلوع لأمرٍ حين جدّت بعد الأمور أمورُ
معكم نحنُ في المعارك.. في خوض المنايا صباحنا والبكورُ
غير أنا لا نرتضي النار تَسْتَشْري، وفيها ويلٌ، وفيها ثبورُ
ثم لا تُجمَعُ الأكفُّ على إطفائها - والقلوب والتفكيرُ؛
أخلافٌ هنا؟ إذاً كيف نرجو أن يزول المكروه والمحذورُ؟

قل لمن رام دفتنا وهو منا: أنت والله جاهل مغرور؛
عذر «شمشون» حين طوح بالناس وأودى بأنه مبتور.

(١٠٧)

يا ناس ضاع الطريق

ومن حُمَيْنَاتِه :

كنت اعتقد أن قلبي في ضلوعي مؤمن
وضد ما يشغل الخاطر ، ويؤدي ويمجن
واليوم محبوب قلبي في عذابه يَفَنُّ !
وقد نويت ارفع الدعوى ؛ ولكن على مَنْ ؟
ضدّ التلّف والحريق
وضدّ نهذه وضيق
حقيق ؛ واللّه .. حقيق ؛
يا ناس ضاع الطريق ؟

والصّادق ؛ ما دريت ذنبه أم الذنب ذنبي ؟
والفرق قلبه معه ، أما أنا شل قلبي ،
معه معه أينما يشتي يسير بي يسير بي
وقد نويت ارفع الدعوى ؛ ولكن على مَنْ ؟
أو لا قد أحنا سوى ؟
أنا من أهل الهوى
سوى ، وإلا غوى ؟
يا ناس ضاع الطريق ؟

كم لمت قلبي على حبة فما افكر ولا اعقل ،
يا قلب يا قلب خذلك في الهوى ما تسهل
شغلت نفسك بحمل الحب والحب يشغل
والليل لا طال فاصبر له إذا الليل طول
والقلب لا طاح .. طاح ؟
واصبر وما راح راح .
يا قلب يكفي جراح .
لا بدّ ياني صباح

(١٠٨)

نشيد مغترب

وقال :

أين منا نفحات اليمـن؟	الهوى كل الهوى للوطن
سـفـح «صنـعـاء» وريـاً «عـدـن»	أين منا نسـمات السـحـر من
وشذى المسك بـوادي «تـبـن»؟	وحقول البن تزهو في الربـا،
وروى الأـمـجـاد عن «ذي يـزن» ،	يا بلاداً نبت العـز بها،
وشموخاً سامياً لم يـهن	نحن أكبرناك صوتاً عالياً،
وتحدى كبرياء الزمـن	غلب الدهر على قسوته
عبرُ بالغة لـلفـظـن	لكن الدهر وفي دورته
كان والنجم معاً في قـرن	بات لم يحفل بمن نام ولو

(١٠٩)

لبيك

وقال ابراهيم : «دعيت إلى العراق لأشارك في
تأيين عبد السلام عارف وكانت البلاد العربية تمر
بأسوأ ظروفها ؛ كانت الحرب قائمة بين اليمينيين
ووراء كل فئة منهم دولة أو دول عربية تتبادل
التهم وتزوجج بواعث الإحن والأحقاد فقلت» :

صوتٌ له كلّ اعزازي وإكباري	وخاطري وأهازيجي وأشعاري
صوت العروبة ألقاها قد اجتمعت	قلباً بقلب ، وأفكاراً بأفكار
من قال ؛ انا اختلفنا خاطراً وهوى ؛	لم نختلف رغم تهريشات شطار
دعهم يقولوا ؛ فإنّي لا أصدّقهم	فكلّهم بين ختالٍ وختارٍ .
قد اتحدنا هنا رأياً وعاطفةً	ولتبرح الدار إن شاءت عن الدار
أخي أناشدك القربى لتحفظها	فإنها إرث أجيال وأعصار
نصون وحدتنا الكبرى بعاطفةٍ	كبيرة ، وبإخلاص ، وإيثار
إن نطفىء البغض بالبغضاء مضرمةً	نكن كمّن يطفئون النّار بالنّار
«عبد السلام» وفي ذكراك لي شجنٌ	وكم أثار لي الأشجان تذكاري
كنا نريدك في يوم نسير به	إلى «فلسطين» يوم الأخذ بالثار
لا مجد ما لم تكّل في مراتبها	جباهنا بالدم القاني وبالغار

صبراً عراق الميامين الاباة وإن
أكاد في كل شبر من مراعكم
دم يفيض رسالات نقدها
كانت ترانيم آبائي إذا طربوا
جلّ المصابر . فهذي حكمة الباري
أحني الجبين لتقبيل الدم الجاري
ونفتديها بأسماع . وأبصار
يوماً ؛ وكانت لهم تسبيح أسحار

(١١٠)

سلام

وله :

سلامي على ذات الملاحه أولا سلام شج ما ودع الحب أو قلا
وإن سألوني عن فؤادي فإنه سلا كل شيء في المنازل .. ما خلا
أرى بعدهم ما يعجب العين والنهى وأما جمالاً يطبي مهجتي .. فلا

(١١١)

«تسلي» ونسيان

هات كأسِي وخذ لنفسك كأسَا نتسلَّى بها وننسى الناسَا
سمحةً تقتل الهموم، وتأبى أن تمسَّ الشعور والإحساسَا

* * *

(١١٢)

قَدْكَ!

متى	تجودين	بالوصال	يا ربّة الحسن والجمال؟
الخير	والشرّ	لم تكوني	مصدره.. كلّه محال
فاتنتي	قَدْكَ	ما ألاقِي	وحسبك التيه والدلال
دعي	لأوطانه	فؤاداً	يهيم بالحسن والجمال
ويعشق	العدل	في رباها	ويمقت الظلم والضلال

(١١٣)

لقاء الحبايب «حمينية»

دان.. لا دان؛ بانسمر على نعمة الدان

قالها في إحدى اللقاءات الأدبية بين أدباء الشمال

والجنوب اليمينيين :

عانقي يا جبال «ريمة» شماريخ «شمسان»
وانت يا وادي «القرية» تفسح «لبيحان»
قالوا اليوم في «صعده» حصل حفل طنان،
والتقينا الجميع في عرس «جسنى» و«حسنان»
«باوزير» صدر «الحينا» مع غصن «ريحان»
و«التن» صدره و«البن» من سفح «صعفان»
والتقى «الحارثي» و«المرشدي» و«القمندان»
دان.. لا دان. بانسمر على نعمة الدان..

الحبايب.. سقى الباري ديار الحبايب
بين «سيئون» و«الحوطة» و«صنعاء» و«مارب».
قد جُمع بالهنا والسعد شمل الحبايب.
خِلْ بالخل يتهنأ، وصاحب لصاحب
والأمور سايره والخير من كل جانب

العسل «دوعي» والبُر من «قاع جهران»
دان.. لا دان.. بانسمر على نغمة الدان.

حُبِّي الأول الغالي ولي حَبِّ ثاني
كاذبة من روابي «عنس» أو «كوكبان»؛
سحر «بير العزب» فيها ونفحة «خبان»
نور عيني، منى قلبي، وفرحة زماني.
«كل شي ما خلا جبر المحيين فاني»
عانقي يا جبال «ريمه» شماریخ «شمسان»
دان.. لا دان.. بانسمر على نغمة الدان.

(١١٤)

إلى أخي . . «حمينية»

كتبها إلى أخيه الشاعر محمد أحمد الحضرائي :

يا أخي . . كيف حالك ؟ حالنا ماها شي ،
قد ركنّا على بقعا . . وجينا وهي لاش
كيف «صالح علي يحيى» ؟ وكيف «البراشي»
و«علي بارقي» كيف حالته و«ابن مكراش» ؟
ما نسينا جبا «المذره» وباب «المناشي»
و«القُرس» و«المحاجين» الكبار و«التمرعاش»
وانها «الوالده» في «الحصن» تدي لنا شي
حيث من أجلنا ، قد تمت العمر «خوتاش»
وأنت وأنا ؛ وهي والعز ترعى الفياشي
ما معانا سوى هي ، سوى الكلب «رقاش»
والتفت وان دمع «الوالده» كالطشاشي
تبكي «القاضي أحمد» طار من مغوشة طاش
يا أخي هات لا تكذب على الناس ولا شي
نحن غرس الدموع المروية كل العطاش
نحن نحن اليمن نفشر ولا عندنا شي
عندنا كل شي والناس ما عندهم لاش

باسألك وفَتِنِي عن حُرِّ بحار ناشي
بالسفينه على الأمواج يَحْتَال يَحْتَال
قد تعنى بها لا ما قدي ما لها شي
وتوكَّل على الباري وهو ثابت الجاش

(١١٥)

أخي رعاك الله

«مُحَنِية»

وكتب له أخوه الشاعر الشعبي محمد أحمد
الحضرائي يشكو ضيق حاله ويريد الوصول إليه
إلى الكويت فانزعج ابراهيم لهذا النبأ لضيق ذات
يده من جهة ولعلمه - كما يقول - بأنه لا يستطيع
أن يتحمل عذاب الغربة، فبعث إليه أخوه قصيدة
يقول فيها :

يا مرحبا حيّا بمكتوب وصل
ومن وصولي للكويت انفعّل
الظرف منه فيه عاطل
وحرّر ألفاظ لي قنابل
إلى أن يقول :

شقيقك «الصارم» وبُوك البطل
كيف يتركوك؟ أين الحيا والخلجّل؟
لا جفاهم «عنس» كامل
وهُم من القوم الأفاضل
وقد أجابه ابراهيم بهذه القصيدة :

أخي رعاك الله قد اليّد عطل
وسحر أخوك ذي كان يهدّ الجبل
ما عاد شي طالع ونازل
أصبح بحكم الوقت باطل
أيام تبدّل، ودنيا دول!
مَن عا تخاصم؟ من عا تجادل؟

«العنق» و«الجلّة» تجاه الجمل
لو تفتكر يا خي بما قد حصل
إنك حمدت الله تعالى وجل!
أصبحت شاعر «عنس» تنظم زجل،
حولك «علي خالد» وصالح بجل
رجع لنا بالزار يقرط بصل
كووه ميه مكوى إلى أن عقل
وحقك الجربه تغطي حمل
ونجلك أحمد صار ذيب العول
والرزق؛ أما الرزق هو كالأجل
أبوك لا تكثر عليه الشغل
لو كان من أهل الزغل والمغل

قد خلت اخفاقه خذابل
من «الإمام يحيى» ونازل
فالعافية والستر حاصل
تُحسب من اعيان القبائل
ذي كان مسافر أرض «باجل»
وهات يا زرفه وزامل
وانه رجل مضبوط كامل
سبول ذره ، والأمسابل
تحرر اسمه في الأوائل
ما قد قُسم لا بدّ حاصل
ما هو بحيله ، أو تحايل
انه ملكها لا «قبائل»

(١١٦)

وله من قصيدة طويلة :

قلبي يكاد لفرط الشوق ينصدع أحبّتي حمّله فوق ما يسعُ
قد عاد كالطفل يهوى كل سائحة تبدو له ويلمح الطرف ينخدع
والقلب في قبضة الوجدان يعوزه التمييز في كل ما يأتي وما يدع

(١١٧)

وله من أخرى :

هات اسقني من كفك العسجدي يا سلوتي في الناس يا أوحدي
حتى ولو غبت فاني على ذكراك احسوها على الموعد

(١١٨)

موعدنا . . . غداً . .

من قصيدة قالها ابراهيم على إثر هزيمة
١٩٦٧ م وقد نشرت في احدى المجلات
العراقية :

لم أدر ما جدوى الحديث مرددا لم يشف من ألمٍ ، ولم يبلل صدى ؟
يا ليت أنا ما سللنا مقولاً . . . إلا مددنا نحو مكreme يدا
وجاء فيها :

إن فاتنا يوم به فرح العدا فسيعلمون بأن موعدنا غدا .

(١١٩)

نشيد الأحرار

نشرتها جريدة «صوت اليمن» في أعدادها
الأولى باسم مستعار :

إن يكن	باد	مجدنا	وهو	ركنه	المشيّد
وانقضى	عزّ	«حمير»	وخبا	بأسه	الشديد
قد دوت	في	عروقنا	صرخة	الماضي	البعيد
وسرت	في	نفوسنا	نشوة	السؤدد	المجيد
قسماً	لن	نعيش	في	أرض	آبائنا
وهم	القادة	الألى	ما	على	فخرهم
سَلْ	عن	القوم	«ماربا»	وسَلِ	السفح
و«ظفاراً»		و«يحصباً»	سَلُهُ	عن	مجدنا
قسماً	لن	نكلّ	أو	ندرك	المجد،
أيها	الظالم	اتّيّد	وعلى	رأسك	الوعيد
لم	تصُنْ	حق	أمة	عشت	في
فلتزلّ	عن	طريقها	ثم	دعها	وما
تريد					

(١٢٠)

روح الحلاج

حدّثني يا نجوم ، يا أرض ، يا شمس .. وقُلْ لي : ما أنتَ يا صرصارُ ؟
من أنا ؟ ليسَ تعلمين ؛ فاني يا تفاهات ربحك الجبارُ ،
قد لفظناك يا رماد هباء ، ولكِ المجد كله .. يا نارُ ..

(١٢١)

إلى روح أبي

وكتب ابراهيم : قُلْتُهَا فِي الْأُرْدُنْ عِنْدَمَا احْتَفَلَ
بِقِيَامِ الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُولَى «ثَوْرَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ»
وَبِمَا أَنَّ وَالِدِي آخِرَ مَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ يَمِّنُ سَاهَمُوا فِي
هَذِهِ الثَّوْرَةِ ؛ وَقَدْ مَنَحَهُ الشَّرِيفُ حُسَيْنٌ بِنْدَقِيَّةً
وَعَادَ بِهَا إِلَى الْيَمَنِ ، وَأَسْقَطَ بِهَا طَائِرَةً بَرِيطَانِيَّةً فِي
أَيَّامِ الْإِمَامِ يَحْيَى ، وَمَلَأَ وَالِدِي أَرْضَ الْيَمَنِ شَعْرًا
بِذَلِكَ الْحَدَثِ فَإِنِّي أَهْدِيهَا إِلَى رُوحِهِ :

لَيْتَنِي أَسْطَيْعُ أَنْ أَرْسِمَ إِحْسَاسَ أَبِي
وَهُوَ يَرُوي لِي بَطُولَاتِ «الْكَفَّاحِ الْعَرَبِيِّ»
يَصِفُ الْمَوْكِبَ حَوْلَ «الْبَيْتِ» يَتَلَوُّ الْمَوْكِبَ ،
يَتَنَادُونَ لِإِجْلَاءِ الدَّخِيلِ الْأَجْنَبِيِّ

«لَمَنْ الْمُضَارِبُ فِي ظِلَالِ الْوَادِي رِيَّانَةُ الْجَنَابَاتِ بِالرَّوَادِ ؟
اللَّهُ أَكْبَرُ تِلْكَ أُمَّةٌ «يَعْرَبُ» نَفَرَتْ مِنَ الْأَغْوَارِ وَالْأَوْهَادِ ،
لَبَّيْكَ يَا أَرْضَ الْعَرُوبَةِ وَاسْمَعِي مَا شَتَّتَ مِنْ شَدَوِي وَمِنْ إِنْشَادِي
أَنَا لَا أَفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِكَ ؛ أَنَّهُمْ أَهْلِي ؛ وَأَنْتِ بِلَادُهُمْ ، وَبِلَادِي»

ليتني أستطيع تصويرَ حديثِ البندقية؟
 وأبي مُتثبِّئاً يروي... وتروي منتشبة
 نحن خضناها ضروراً في صراعِ الهمجية
 حاولوا أن يخذلوا الله بخذل العربية.

جاهلٌ، أو حاقِدٌ أو... لا فكذابٌ أشيرُ،
 من يقلُّ إنا على أعدائنا لم نتصيرُ
 قد نهضنا وانتصرنا ولأمرٍ قد قُدرُ
 ومضى كلُّ عدوٍّ وتولى، ودُجرُ

أين من صالتَ لهم فوقَ أراضينا جنود؟
 وعلتَ فوقَ رواينا لهم يوماً بنود؟
 أين في «جلتق» جبارٌ من العِلجِ عنيذ؟
 حين نادى: «يا صلاح الدين» ها نحن نعود.

يا أخي في «الجبيل الأخضر» في أرضِ المفاجِرِ
 في «فلسطين» وفي كلِّ بوادٍ، وحواضِرِ
 من ذرى «ردفان» في الشرق إلى أقصى «الجزائر»
 قم معي نزجي التحيات إلى «أولِ ثائر»

رحم الله حُسَيْناً وحي الله «الحسين»
 عربيَّ القلب والوجه معاً، والراحتين
 نافذَ كالسيف في موقفه؛ لا بين... بين؟
 كيف ننساه، وتنساه ضفاف «الرافدين»

من رواي «اليمن الخضراء» من «مصر» الأبيّة
من «عراق» المجد والنّصر، «عراق» الأريحيّة
رائد الوحدة... تهديك الجماهير... التحيّة
ومناها أن ترى الراية تعلو «عربيّة؟»

(١٢٢)

الركن اليماني

ولمّا وصل ابراهيم الحضرائي إلى الديار
المقدّسة سنة ١٤٠٧ هـ ولم يتمكّن من الطواف
بالبیت العتيق قام بزيارة صديقه ورفيقه في معتقل
حجّة الأخ العلامة الأديب ابراهيم بن علي الوزير
وقال منشداً :

لَيْسَ فَاتِنِي أَنْ زَرْتُ مَكَّةَ خَاشِعاً لَأُثِمَّ رُكْنًا أَوْ لَأُسْعَى مَنَاجِيَا
فَمَا فَاتِنِي أَنِّي تَطَوَّفْتُ حَوْلَهُ وَصَافَحْتُ رُكْنًا «هَاشِمِيًّا» «يَمَانِيًّا»

(١٢٣)

غريب في رحاب الأكارم

وكان قبل ذلك بعام قد زار «واشنطن» ونزل
ضيافاً على السيد الأديب الشاعر قاسم بن علي
الوزير وما قاله في تلك المناسبة :

ظلمت لسان «الشنفري» إذ جررته	معي لبلاد الأبعدين الأعاجم
إلى حيث لا من شاعرٍ أو مبارزٍ	أنأزله فيها ولا من منادم
لقد ضعت لولا فتية عربية	لقحطان يُعزى مجدها ولهاشم
يناجيك من فتيانها كلّ أروع	«لؤي» بن «زيد» و«البراء» بن قاسم ^(١)
ومن كرم الأيام وهي بخيلة	نزول غريب في رحاب الأكارم

(١) لؤي بن زيد بن علي الوزير، و«البراء» هو النجل الأكبر للسيد قاسم بن علي الوزير.

المحتويات

المقدمة	٥٢ - ٥
ابراهيم الحضرائي ٨ ، لا أنقذُ بل أعرف ٢٧ ، الشعر العربي ومميزاته ٢٩ ، عودة إلى إبراهيم الحضرائي ٣١ ، بكاء الشعراء على الشعراء ٣٣ ، مسك الختام ٣٥ ، ترجمة هلال ناجي ٣٧ ، الحضرائي الرومانسي ٣٧ ، مع البردوني في رحلته ٣٩ ، الزيدي الراوية ٥٢ .	
الديوان : قطوف الدواني	٢١٩ - ٥٣
(١) فاز من شبَّ على	(١٥) فراغ ٧١
ما ينفع الشعب	(١٦) على سرير الموت ٧٢
(٢) راحة الموت	(١٧) عندما أفقد آمال الحياة ٧٣
(٣) وهم الشقاء	(١٨) الحب ٧٤
(٤) الروحان تتعانقان	(١٩) في سبيل بلادي ٧٥
(٥) اذكرونا مثل ذكرانا لكم	(٢٠) طاهش الحويان ٧٦
(٦) يؤلني	(٢١) مطيبي على الصراط ٧٧
(٧) هل من حيلة ؟	(٢٢) بلا عنوان ٧٨
(٨) يا طير	(٢٣) على سفود الدهر ٧٩
(٩) ونحي لأحلام الصبا	(٢٤) قدر ٨٠
(١٠) يا صاحب القلب الكبير	(٢٥) ليت ٨١
(١١) الهمة العالية	(٢٦) زفرة شيطان ٨٢
(١٢) النفس الأول	(٢٧) هكذا أحب ٨٣
(١٣) بيت في الحب	(٢٨) ما لقلبي ؟ ٨٤
(١٤) أمنية	(٢٩) تاج العروس ٨٦

١١٦	(٥٦) يمّني في شوارع روما	٨٧	(٣٠) إباء الكريم
١١٧	(٥٧) بناء السد العالي	٨٨	(٣١) لا صبر
١١٩	(٥٨) الشلال	٨٩	(٣٢) لا عقل
١٢١	(٥٩) صديقة الهاتف	٩٠	(٣٣) أبرهة عاد
١٢٢	(٦٠) من خلق الفتنة غيري أنا؟	٩٢	(٣٤) رمال عطشى
١٢٣	(٦١) صفحتان من الرحلة وهامش	٩٣	(٣٥) أنا والحبيب
١٢٦	(٦٢) لماذا أخاف من الموت؟	٩٤	(٣٦) حكم الهوى
١٢٧	(٦٣) الأمير عبد الله بن عبد العزیز والمطر.	٩٥	(٣٧) مستهام
١٢٨	(٦٤) إلى أين؟	٩٦	(٣٨) قلبٌ . . ونبع
١٢٩	(٦٥) صدى الشوق	٩٧	(٣٩) أيسر البذل . . الدم!
١٣١	(٦٦) الحداة والقافلة!	٩٨	(٤٠) ما زال ظلاماً
١٣٣	(٦٧) وداع صديق		(٤١) أيها النائمون . .
١٣٥	(٦٨) ضحايا الحرب	٩٩	البراكين نائمة . . !
١٣٧	(٦٩) عبد الله العزب	١٠٠	(٤٢) أنا
	(٧٠) إلى الصديق الراحل الشاعر	١٠١	(٤٣) غادة الطائفة
١٣٩	محمود حسن اسماعيل	١٠٢	(٤٤) صمت نجد
١٤٠	(٧١) جيل التحدي	١٠٣	(٤٥) قصتي مع الحسناء
١٤٢	(٧٢) على قبر جوته	١٠٤	(٤٦) كلهم يحدثن عني
١٤٤	(٧٣) الشهيد عبد الله بن محمد الوزير	١٠٥	(٤٧) حب - ثم فراق - ثم لقاء
١٤٦	(٧٤) سفينة قد مات ربانها	١٠٦	(٤٨) وداعاً يا
١٤٧	(٧٥) الرئيس جمال جميل العراقي ...	١٠٧	(٤٩) نغم يترنح
١٥٠	(٧٦) حافظ وشوقي	١٠٩	(٥٠) وكتب إلي مقطوعة مطلعها ..
١٥١	(٧٧) يا صديقي	١١٠	(٥١) ي ، م ، ن
١٥٣	(٧٨) المجد للنار	١١١	(٥٢) من قصيدة طويلة
		١١٢	(٥٣) تحية لعدن
		١١٣	(٥٤) يمّني في القاهرة
		١١٤	(٥٥) شكوى صامته

١٩٤	(١٠٥) فرحتان	١٥٤	(٧٩) لو
١٩٥	(١٠٦) يا بني العم	١٥٥	(٨٠) أعلى القمم
١٩٧	(١٠٧) يا ناس ضاع الطريق	١٥٦	(٨١) رسالة
١٩٨	(١٠٨) نشيد مغترب	١٥٨	(٨٢) الناس
١٩٩	(١٠٩) لَيْك	١٥٩	(٨٣) أنا في العراق
٢٠١	(١١٠) سلام	١٦٠	(٨٤) تحية واعتراف
٢٠٢	(١١١) «تسلي» ونسيان	١٦١	(٨٥) عائذ من لبنان
٢٠٣	(١١٢) قَدْكِ	١٦٢	(٨٦) الجبال تتذكر
٢٠٤	(١١٣) لقاء الحباب [حمينية]	١٦٤	(٨٧) قاضٍ
٢٠٦	(١١٤) إلى أخي . . [حمينية]	١٦٥	(٨٨) درويش
٢٠٨	(١١٥) أخي رعاك الله [حمينية] ...	١٦٨	(٨٩) قبله الشموخ
٢١٠	(١١٦) له من قصيدة	١٦٩	(٩٠) الشاهد
٢١١	(١١٧) وله من أخرى	١٧٠	(٩١) عبلة
٢١٢	(١١٨) موعداً . . . غداً	١٧١	(٩٢) الذخر والمعتمد
٢١٣	(١١٩) نشيد الأحرار	١٧٣	(٩٣) أنت كما شئت
٢١٤	(١٢٠) روح الحلاج	١٧٤	(٩٤) حسان أو سلمان
٢١٥	(١٢١) إلى روح أبي	١٧٧	(٩٥) عواطف
٢١٨	(١٢٢) الركن اليماني	١٨٠	(٩٦) في عالم الشعر
٢١٩	(١٢٣) غريب في رحاب الأكارم ..	١٨٣	(٩٧) أصدقاء رمضان
		١٨٥	(٩٨) مشروع قصيدة
		١٨٦	(٩٩) يا قلب كم سرّك لقاء الحبيب
		١٨٧	(١٠٠) مع مغترب جديد
		١٨٩	(١٠١) بلا عنوان
		١٩٠	(١٠٢) شموخ الضاد
		١٩١	(١٠٣) صلي . . أو فصدي
			(١٠٤) شكوى إلى عميد الأدب
		١٩٢	الدكتور طه حسين

القطوف الزواني

إنها رحلة ممتعة، تلك التي رحلتها مع شعر صديق العمر، الشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضرائي. . إنها رحلة نصف قرن من الزمان. خمسون عاماً هلكت خلالها أُممٌ، ونشأت أُممٌ، وانهمزت دُولٌ وانتصرت دُولٌ، واجتاحت العالم في أثنائها أحداثٌ جسامٌ كالحرب العالمية الثانية التي شملت أرزائها وكوارثها أوروبا وآسيا وإفريقية وأكثر أصقاع المعمورة، ثم ما تحكّم بعدها من عِزّة القوة المنتصرة، وذلة الضعف المنهزم، وما نجم من اضطرابات وانقلابات وصراع من أجل الاستقلال والتحرّر في الهند والسند والحبشة والمغرب والجزائر، وكارثة فلسطين، وما حدث في اليمن على وجه الخصوص من مجاعات وأمراض وقحط وصراع وثورات، كان الشاعر إبراهيم الحضرائي في خضمّها بل وفي دَوامتها. إن جهدي في جمع هذه «القطوف» الشعرية لم يكن سهلاً ولا ميسوراً، وترتيبها وإخراجها في «ديوان» قد أتعبني وأضناني، لأن أشعار صديق العمر مشتتة، فهو لم يتعود حفظ قصائده ومقطوعاته، وهي كثيرة وفي كل وادٍ منها عصا. . .

إنها رحلة شعرية مع شاعر صديق استمرت خمسين عاماً، لا أظنه قال في أثنائها شعراً ولم يقرأه عليّ، أو لم أعلمه من أصدقائه وأحبابه. لقد أردت خدمة للأدب اليمني أن أجمع ديوان إبراهيم الحضرائي وأخرجه للناس، لأن إبراهيم في طليعة الطبقة الأولى من شعراء اليمن ليس في القرن الرابع عشر الهجري فحسب، بل عبر العصور في الجاهلية والإسلام.

أحمد بن محمد السامي

توزيع

دار المناهل

للطباعة والنشر والتوزيع

منشورات العصر الحديث